التَّعَالُقُ النَّصِّيُّ
بين الفاتحةِ "أمّ الكِتابِ" وسُوَرِ القرآن

بقلم الدكتور

أحمد رجب حجازي

مدرس ، قسم البلاغة والنَّقد الأدبيّ والأدب المقارن

كلِّيَّة دار العلُوم ، جامعة القاهرة ـ جمهورية مصر العربية

المجلد السادس والعشرون للعام ٢٠٢٢م

الجزء الثالث (إصدار ديسمبر)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّعَالُقُ النَّصِّيُّ بين الفاتحةِ "أمّ الكِتابِ" وسُوَرِ القرآن

أحمد رجب حجازي

قسم البلاغة والنّقد الأدبيّ والأدب المقارن، كلّيّة دار العلوم ، جامعة القاهرة ـ جمهورية مصر العربية .

البريد الإلكتروني : ahmed86a2z2@gmail.com

الملخص

تهدُف هذه الدِّراسة إلى رصد ملامح التّناسب النّصِّي بين سورة الفاتحة وسائر سُوَر القرآن الكريم؛ فقد قامت الفاتحةُ على مجموعة من الألفاظ والتّراكيب والألوان البلاغيّة، كان لها أكبر الأثر على نسيج القرآن؛ الأمر الّذي تبدو معه الفاتحة أصلًا لُغويًّا للقرآن تتفرّع عنه سُوَرُه، كما كانت منبعًا لمضامينه القارّة فيه.

جديرٌ بالذِّكر أنّه قد أشار غير واحد من المفسِّرين إلى كون الفاتحة مشتملةً على المعاني الّتي تسري في القرآن كله؛ من حديث عن التوحيد، والقيامة، والصِّفات الإلهيّة، وأصناف النّاس؛ من مُهتدٍ، وضالٍّ، ومتعرِّض لغضب الله، وغير ذلك من الموضوعات الّتي طَرَقتها الفاتحة، وشاعت في سُوَر القرآن، لكنّ أحدًا ــ حسب اطِّلاع الباحث ــ لم يُشر إلى كون الفاتحة منبعًا لأساليب القرآن وطرائقه في التَّعبير، وهذا ما سيدور حوله هذا البحث.

وتشتمل هذه الدِّراسة على أربعة مباحث؛ **الأوّل:** سريانُ الموادِّ المعجميَّة، **والثّاني:** اطِّراد البناء التَّركيبيِّ، **والثّالث:** انسجامُ الفواصل الموسيقيُّ، **والرّابع:** شيوع الألوان البلاغيّة.

عالج المبحث الأول **(سريانُ الموادِّ المعجميَّة)** شيوع جذور الفاتحة في سائر سُوَرِ القرآن، ونسبة تكرار جذور الفاتحة إلى مُجمل كلمات القرآن.

وتناول المبحث الثّاني (**اطِّراد البناء التَّركيبيِّ**) تعالق البِنى الرئيسة، والأفعال، والتراكيب الثّابتة (المسكوكات)، والبداية والنِّهاية الاسميَّتان.

ويعيش المبحث الثّالث (**انسجامُ الفواصل الموسيقيُّ**) مع فاصلة البداية (صفات الله في الفواصل القرآنيَّة)، وفاصلة صيغة فعيل، والفواصل المَدِّيَّة، وحرف الرَّويّ، وفاصلة الخِتام (الجمع).

ويدور المبحث الرَّابع (**شيوع الألوان البلاغيَّة**) حول التّقديم والتّأخير، والاستعارة، والطِّباق، والتّكرار، والالتفات.

الكلمات المفتاحية : التّعالق، النّصّ، الفاتحة، السُّوَرة، القرآن.

The textual relationship between Al-Fatihah, and the surahs of the Qur'an.

Ahmed Ragab Hegazy
Department of Rhetoric, Literary Criticism and Comparative Literature, Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University , Arab Republic of Egypt .
Email: ahmed86a2z2@gmail.com

Abstract

This study aims to monitor the features of the textual proportionality between Surat Al-Fatihah and other Surahs of the Noble Qur'an. Al-Fatihah was based on a group of words, structures and rhetorical colors, which had the greatest impact on the texture of the Qur'an. The matter with which Al-Fatihah appears as a linguistic origin of the Qur'an, from which its surahs branch, as it was a source of its content.

It is worth noting that more than one of the commentators indicated that Al-Fatihah contains the meanings that apply throughout the Qur'an. monotheism, resurrection, divine attributes, and types of people; From the one who is guided, lost, exposed to the wrath of God, and other topics that Al-Fatihah discussed and spread in the surahs of the Qur'an, but no one – according to the researcher's knowledge – did not indicate that Al-Fatihah is a source of the Qur'an's methods and ways of expression, and this is what this research will revolve around.

This study includes four sections; The first: the flow of lexical materials, the second: the progression of syntactic construction, the third: the harmony of musical intervals, and the fourth: the prevalence of rhetorical colors.

The first topic (the flow of lexical materials) dealt with the prevalence of Al-Fatihah roots in all the Qur'an surahs, and the ratio of the repetition of Al-Fatihah roots to the totality of the words of the Qur'an.

The second topic (the progression of syntactic construction) deals with the interrelationship of main structures, verbs, fixed structures, and the nominal beginning and end.

The third topic (the harmony of musical interludes) lives with the beginning comma (the attributes of God in the ends of the verses), the)faeil(form, The last letter in the verse, and the Conclusion of the last verse (plural).

The fourth topic (the prevalence of rhetorical colors) revolves around advance or delay a word, metaphor, the opposite, repetition, and Move between pronouns or words

Keywords: Interconnection - the text - Al-Fatihah - the surah - the Qur'an.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله خالق الإنسان، معلِّمه البيان، والصّلاة والسّلام على المبعوث بالقرآن، سيِّدنا محمّد ــ صلّى الله عليه وسلَّم، خير من أفصح وأبان، ورضي الله عن صحابته وتابعيهم بإحسان. **وبعد**:

فإنّ الله ــ سبحانه وتعالى ــ قد جعل القرآن سُوَرًا، وجعل لكلّ سورة مطلعًا، تنبثق منه، وتُشَدُّ خيوطُها إليه، عنه تصدُر وإليه تعود وترجع، ثمّ إنّه ــ جلّ شأنه ــ اختار الفاتحة لتكون مطلع القرآن الكريم؛ فنزلت منه "منزل ديباجة الخُطبة أو الكتاب"(١).

وقد دأب المفسِّرون ــ قديمًا وحديثًا ــ على البحث عن الآصرة الّتي تربط جنبات القرآن الكريم بمطلعه الماثل في سورة الفاتحة؛ لذا أجمعوا على أنّ تلك الآصرة تكمُن في كون القرآن إنّما هو تفصيل لِما أجملته سورة الفاتحة، وصرّحوا تصريحًا متواترًا ينقله مفسِّرٌ عن مفسِّرٍ بأنّ الفاتحة اشتملت "على المعاني الّتي في القرآن"(٢).

---

(١) التّحرير والتّنوير: الطّاهر ابن عاشور، الدّار التُّونُسيّة للنّشر، تونُس، ١٩٨٤م: ١/١٣٥.

(٢) الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: الزّمخشريّ، تحقيق: الشّيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ مُحمّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرّياض، ط/١، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م: ١/٩٩، وانظر: الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لِما تضمّنه من السُّنّة وآي الفرقان: القرطبيّ، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، مؤسّسة الرّسالة، لُبنان، ط/١، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م: ١/١٧٣، وتفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: مصطفى السّيّد مُحمّد، ومُحمّد السّيّد رشاد، مُحمّد فضل العجماويّ، وعليّ أحمد عبد الباقي، وحسن عبّاس، مؤسّسة قرطبة، الجيزة، ط/١، ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م: ١/١٥٣، وإرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السُّعود، دار إحياء التُّراث العربيّ، لُبنان، د/ط، د/ت: ١/٨، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني: الآلوسيّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، لُبنان، د/ط، د/ت: ١/٣٥، ومحاسن التّأويل: القاسميّ، عناية: مُحمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط/١، ١٣٧٦ه، ١٩٥٧م: ٢/٤، والتّحرير والتّنوير: ١/١٣٣.

واللّافت للنّظر أنّهم في بحثهم عن التَّرابط بين الفاتحة وسائر القرآن ركّزوا على الرَّوابط المتعلِّقة بالمضامين فحسب؛ تلك المضامين التي تبدو في حديث الفاتحة عن الثّناء على الله، وذِكر أسمائه وصفاته، وتوحيده، وأوامره ونواهيه، ووعده ووعيده، وما إلى ذلك من موضوعاتٍ طرقتها الفاتحة؛ تصريحًا أو تلميحًا، وتكفّلت سائر السُّوَر ببسطها وتفصيل القول فيها.

وأمّا البحث عن الأواصر اللُّغويَّة والبلاغيَّة الّتي تربط بين الفاتحةِ باعتبارها مطلعًا ومقدِّمةً، والقرآنِ الكريمِ باعتباره بقيّة الكتاب أو مضمون الخُطبة؛ فذلك ما لم يشغل حيّزًا من تفكير السّابقين وكتاباتهم في الغالب(١).

ويتغيَّا هذا البحث التّنقيب عن تلك الرَّوابط المتعلِّقة باللُّغة في مستوييها: المباشر وغير المباشر، العادي والفنِّيّ، الحياديّ والمنحرف؛ بغية التماس أوجه التّماسك النّصِّيِّ بين الفاتحة وسائر سُوَر القرآن الكريم.

وسيتّبع هذا البحث عدّة إجراءات منهجيّة؛ منها:

١. **الاستقراء:** حيث استقراء سُوَر القرآن سورةً سورةً؛ بحثًا عن الرَّوابط المبتغاة.

٢. **الإحصاء:** فهناك أمور تحتاج إلى الإحصاء الدّقيق؛ لتبدو النّتيجة واضحةً وأقرب إلى التّعميم.

٣. **التّحليل:** لمحاولة تبرير تلك الرَّوابط، والبحث عن أسرارها البلاغيَّة.

---

(١) هذا في حدود عِلم الباحث.

* وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا البحث سينظر في الفاتحة باعتبارها سبع آيات، فالفاتحة على حدِّ تعبير ابن عاشور: "**سبع آيات باتِّفاق القرّاء والمفسِّرين**". التّحرير والتّنوير: ١/١٣٦.

وسينتظم هذا البحث في أربعة مباحث، تحت كلٍّ منها عـدَّة مَحـاور، وذلك على النّحو الآتي(١):

المبحث الأوّل: سريانُ الموادِّ المعجميَّة.

المبحث الثّاني: اطِّراد البناء التَّركيبيِّ.

المبحث الثّالث: انسجامُ الفواصل الموسيقيُّ.

المبحث الرّابع: شيوع الألوان البلاغيَّة.

ثمَّ تأتي خاتمةٌ بأهمِّ النّتائج، تعقبها قائمة المصادر والمراجع، وأخيـرًا فهرس الموضوعات.

والله وحده مسئولٌ أن يُنجِح المسعَى ويُسدِّد الخُطى،

وهو الهادي إلى الصِّراط القويم.

***

(١) رُتِّبت هذه المباحث بناءً على الاستعمال المباشر وغير المباشر للُّغة؛ فبدأ باللُّغـة المباشـرة متدرجًا في مستوياتها من الأدنى إلى الأعلى (الموادّ المعجميَّة، فالتّراكيب، فالموسيقى)، ثـمَّ ثنّى باللُّغة غير المباشرة (الألوان البلاغيَّة)

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

المبحث الأوَّل

سريانُ الموادِّ المعجميَّة

تتألّفسورة الفاتحةمن سبعة عشَرجذرًا معجميًّا،والجدول الآتي يوضِّحها، في مقابل الصِّيَغ الواردة بالفعل في سورة الفاتحة، مرتّبة حسب ورودها:

م	الجذر المعجميُّ	الكلمة الواردة	رقم الآية
١	س م و	بسم	١
٢	أ ل ه	الله، لله	١، ٢
٣	ر ح م	الرَّحمن، الرَّحيم	١، ٣
٤	ح م د	الحمد	٢
٥	ر ب ب	رَبّ	٢
٦	ع ل م	العالَمين	٢
٧	م ل ك	مالك	٤
٨	ي و م	يوم	٤
٩	د ي ن	الدِّين	٤
١٠	ع ب د	نعبد	٥
١١	ع و ن	نستعين	٥
١٢	ه د ي	اهدنا	٦
١٣	ص ر ط	الصِّراط، صراط	٦، ٧
١٤	ق و م	المستقيم	٦
١٥	ن ع م	أنعمتَ	٧
١٦	غ ض ب	المغضوب	٧
١٧	ض ل ل	الضَّالّين	٧

وإضافة إلى هذه الجذور ثَمَّ مجموعة من الحروف والأدوات الّتي قامت بدور الرّبط بين هذه الجذور، وهي: (إيّا، واو العطف، الّذين، عليهم، غير، لا).

ويرصد هذا المحورُ سَرَيانَ الجذورِ المؤلِّفةِ لسورة الفاتحة في نسيج القرآن الكريم؛ ويستنبط منها بعض الدِّلالات البلاغيّة، وذلك عبر محورين:

الأوّل: شيوع جذور الفاتحة في سائر سُور القرآن.

الثّاني: نسبة تكرار جذور الفاتحة إلى مجمل كلمات القرآن.

***

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

المحور الأوَّل

شيوع جذور الفاتحة في سائر سُور القرآن

في هذا المحور تتبُّعٌ لشيوع جذور الفاتحة في سائر سور القرآن الكريم(١)، والجدول الآتي يُبيّن ذلك الشُّيوع، ثمّ تعقبه تعليقات:

م	سورة	سمو	الله	رحم	حمد	رب	علم	ملك	يوم	دين	عبد	عون	هدي	صرط	قوم	نعم	غضب	ضل
١	الفاتحة	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√
٢	البقرة	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√
٣	آل عِمران	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√	√	√
٤	النِّساء	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√	√	√
٥	المائدة	√	√	√		√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√
٦	الأنعام	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√		√
٧	الأعراف	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√
٨	الأنفال	√	√	√		√	√	√	√	√	√				√	√	√	
٩	التَّوبة		√	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√		√
١٠	يونُس	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√		√
١١	هود	√	√	√	√	√	√	√	√		√			√	√	√		√
١٢	يوسُف	√	√	√		√	√	√	√	√	√	√	√		√	√		√
١٣	الرَّعد	√	√	√	√	√	√	√			√		√		√	√		√
١٤	إبراهيم	√	√	√	√	√	√		√		√		√	√	√	√		√
١٥	الحِجر	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√			√	√			√
١٦	النَّحل	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√	√	√
١٧	الإسراء	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√		√	√		√
١٨	الكهف	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√		√	√		√
١٩	مريم	√	√	√		√	√	√	√		√		√	√	√	√		√
٢٠	طه	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√	√	√	√	√
٢١	الأنبياء	√	√	√		√	√	√	√		√	√	√		√		√	√
٢٢	الحجُّ	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√		√
٢٣	المؤمنون	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√	√	√		√
٢٤	النُّور	√	√	√			√	√	√	√	√		√	√	√		√	
٢٥	الفرقان	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√		√	√		√
٢٦	الشُّعراء	√	√	√		√	√		√	√	√		√		√	√		√
٢٧	النَّمل	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√		√	√		√

(١) استعنت في هذا التّتَبُّع ـــــ إضافة إلى استقرائي للمصحف الشّريف ـــــ بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مُحمّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.

م	سورة	سمو	الله	رحم	حمد	رب	علم	ملك	يوم	دين	عبد	عون	هدي	صرط	قوم	نعم	غضب	ضل
٢٨	القَصص		√	√	√	√	√		√		√		√		√	√		√
٢٩	العنكبوت	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√		
٣٠	الرُّوم	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√			√
٣١	لقمان	√	√	√	√	√	√		√	√			√		√	√		√
٣٢	السَّجدة	√	√	√	√	√	√	√	√				√		√	√		√
٣٣	الأحزاب	√	√	√	√	√	√	√	√	√			√		√	√		√
٣٤	سبأ	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√	√			√
٣٥	فاطر	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√		√	√		√
٣٦	يس	√	√	√		√	√	√	√		√		√	√	√	√		√
٣٧	الصَّافات	√	√		√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√		√
٣٨	ص	√	√	√		√	√	√	√	√	√		√	√	√	√		√
٣٩	الزُّمَر	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√		√
٤٠	غافر	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√	√		√
٤١	فصِّلت	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√		√	√		√
٤٢	الشُّورى	√	√	√	√	√	√	√	√	√	√		√	√	√	√	√	√
٤٣	الزُّخرف	√	√	√		√	√	√	√		√		√	√	√	√		√
٤٤	الدُّخَان	√	√	√		√	√		√		√				√	√		
٤٥	الجاثية	√	√	√	√	√	√	√	√				√		√			√
٤٦	الأحقاف	√	√	√		√	√	√	√		√		√		√	√		√
٤٧	مُحمَّد		√	√	√	√	√	√					√		√	√		√
٤٨	الفتح	√	√	√	√		√	√		√			√	√	√	√	√	
٤٩	الحجرات	√	√	√			√			√			√		√	√		
٥٠	ق	√	√	√	√	√	√		√		√				√			√
٥١	الذَّاريات	√	√			√	√		√	√	√				√	√		
٥٢	الطُّور	√	√	√	√	√	√		√						√	√		
٥٣	النَّجم	√	√			√	√	√			√		√		√			√
٥٤	القمر	√				√	√	√	√		√				√	√		√
٥٥	الرَّحمن	√		√		√	√		√						√			
٥٦	الواقعة	√				√	√		√	√						√		√
٥٧	الحديد	√	√	√	√	√	√	√	√		√		√		√			
٥٨	المجادلة	√	√	√			√		√						√		√	
٥٩	الحشر	√	√	√		√	√	√							√			
٦٠	الممتحنة		√	√	√	√	√	√	√	√	√				√		√	√
٦١	الصَّفُّ	√	√		√					√			√		√			
٦٢	الجُمُعة	√	√				√	√	√				√		√			√
٦٣	المنافقون	√	√			√	√						√		√			
٦٤	التَّغابن	√	√	√	√	√	√	√	√				√					
٦٥	الطَّلاق	√	√			√	√		√						√			
٦٦	التَّحريم		√	√		√	√	√	√		√				√			
٦٧	المُلك	√	√	√		√	√	√					√	√	√			√

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني
ISSN 2636 - 316X

م	سورة	سمو	الله	رحم	حمد	رب	علم	ملك	يوم	دين	عبد	عون	هدي	صرط	قوم	نعم	غضب	ضل
٦٨	القلم					√	√		√				√		√	√		√
٦٩	الحاقّة	√	√			√	√	√	√						√			
٧٠	المعارج	√	√			√	√	√	√	√					√	√		
٧١	نوح	√	√			√	√				√				√			√
٧٢	الجنّ	√	√			√	√	√			√		√		√			
٧٣	المزّمّل	√	√	√		√	√		√						√	√		
٧٤	المدّثّر		√			√	√	√	√	√			√					√
٧٥	القيامة					√			√						√			
٧٦	الإنسان	√	√	√		√	√	√	√		√		√			√		
٧٧	المرسَلات	√					√		√							√		
٧٨	النّبأ	√		√		√	√	√	√						√			
٧٩	النّازعات	√	√			√			√						√	√		
٨٠	عبس								√							√		
٨١	التّكوير	√	√			√	√								√			
٨٢	الانفطار	√	√			√	√	√	√	√						√		
٨٣	المطفّفين					√	√		√	√					√	√		√
٨٤	الانشقاق	√	√			√	√											
٨٥	البروج	√	√		√	√		√	√									
٨٦	الطّارق	√							√									
٨٧	الأعلى	√	√			√	√						√					
٨٨	الغاشية	√	√						√							√		
٨٩	الفَجر					√		√	√		√					√		
٩٠	البلد			√					√				√					
٩١	الشّمس	√	√			√												
٩٢	اللّيل					√							√			√		
٩٣	الضُحى					√							√			√		√
٩٤	الشّرح					√												
٩٥	التّين		√							√					√			
٩٦	العلق	√	√			√	√				√		√					
٩٧	القَدر					√		√										
٩٨	البيّنة		√			√				√	√				√			
٩٩	الزّلزلة					√			√									
١٠٠	العاديات					√	√		√									
١٠١	القارعة								√									
١٠٢	التّكاثر						√		√							√		
١٠٣	العصر																	
١٠٤	الهُمزة		√															
١٠٥	الفيل					√												√
١٠٦	قُريش					√					√							
١٠٧	الماعون									√								

م	سورة	سمو	الله	رحم	حمد	رب	علم	ملك	يوم	دين	عبد	عون	هدي	صرط	قوم	نعم	غضب	ضل
١٠٨	الكوثر					√												
١٠٩	الكافرون									√	√							
١١٠	النَّصر		√		√	√				√								
١١١	المسد																	
١١٢	الإخلاص		√															
١١٣	الفلق					√												
١١٤	النَّاس		√			√		√										
المجموع		٨٠	٨٦	٦٢	٤٤	٩٤	٨٤	٦٣	٨٠	٤٠	٥٧	٨	٦١	٢٣	٧٨	٦٠	١٥	٥٦

يُستخلص من هذا الجدول ما يلي:

أوَّلًا: تغلغُلُ الجذور المعجميَّة المكوِّنة للفاتحة في نسيج السُّوَر القرآنيَّة؛ إذ احتوت (١١١) سورة على جذر فأكثر من جذور سورة الفاتحة؛ وفي ذلك دليلٌ واضحٌ على التّماسُك بين مطلع القرآن **(الفاتحة)** وبقيَّة أجزائه، فكما كانت الفاتحة ــ على حدِّ إجماع المفسِّرين ــ مجمَع معاني القرآن، كانت كذلك مجمَع مَبَانِيه.

ثانيًا: أكثر الجذور من حيث عدد السُّور الَّتي ورد فيها هو الجذر (ر.ب.ب)؛ إذ ورد في (٩٤) سورة، ويزخر هذا الجذر بمجموعة دلالات؛ منها: **(المُلك، والسِّيادة، والسِّياسة، والتّدبير، والتّربية، والإصلاح، والإحكام، والعِلم، والإنماء، والإحسان، والإنعام، والخير، والجمع، والتّكثير، واللُّزوم والدَّوام، والحُبُّ، والدُّنُوُّ، والاحتياج)**(١)، وفي سريان هذا الجذر بدلالاته تلك في نسيج القرآن؛ تأكيد لمكان المنزِّل ــ سبحانه وتعالى ــ من المنزَّل عليهم؛ فهو مالكهم وسيِّدهم، عالمٌ بهم، وسائسهم ومربِّيهم ومدبِّر أمرهم ومصلح شأنهم، يُنعم عليهم ويُحسنُ، يُحبُّهم ويقدِّم لهم الخير الدَّائم المُلازم، يدنو إليهم،

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مطبعة حكومة الكويت، د/ط، ١٤٨٥هـ، ١٩٦٥م، مادَّة: (ر.ب.ب)

وهم في هذا كلِّه محتاجون إليه، فكأنّ سريان المبنى **(ر.ب.ب)** صاحبه سريان المعاني الّتي رسّختها سورة الفاتحة.

ثالثًا: أقلُّ الجذور من حيث عدد السُّور الَّتي ورد فيها هو الجذر **(ع.و.ن)**؛ إذ ورد في (٨) سُوَرٍ، ولعلّ في هذه القِلّة إشارةً إلى قِلّة استعانة الإنسان بربِّه، الّذي تفضّل عليه بوجوده وأسباب معاشه، أو دلالةً على صعوبة تحقيق الاستعانة الحَقيقيّة بالله، وتبرزُ المفارقة هنا بين موقف الرَّب من عبده وموقف العبد من ربِّه؛ فالرَّب يُسبغ نعمه على العبد **(انتشار الجذر** "**ر.ب.ب**")، والعبد يُقصِّر عن قَدْر الرَّبِّ حقَّ قدره **(انحصار الجذر** "**ع.و.ن**").

رابعًا: سورة البقرة هي السُّورة الوحيدة الّتي استوفت جذور الفاتحة جميعها؛ وقد هيّأ لها ذلك أمران؛ أحدهما: وقوعها مباشرة بعد سورة الفاتحة؛ فكانت الأقرب منها والألصق بها، فسرت فيها موادُّها المعجميّة؛ لتتماسك لُحمتاهما، وثانيهما: طولها؛ فكانت أكبر شارح لمضامين سورة الفاتحة؛ فاستعانت بمبانيها لبسط معانيها.

خامسًا: ثمّة سورتان خَلَتَا تمامًا من جذور الفاتحة، وهما: العصر، والمسد، وإن لم تخلُوَا من حرف العطف **(الواو)**، أو الاسم الموصول **(الّذين)**، وممّا يلفت الانتباه أنّ هاتين السُّورتين فُتحتا ــ دون سائر سوَر القرآن ــ بإقرار الخُسران وتأكيده؛ ففي مطلع سورة العصر: {**وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)**}، وفي مطلع سورة المسد: {**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(١)**}، وفي لسان العرب: "**التّبُّ: الخَسَارُ، والتّبَاب: الخُسرانُ**"(١)، وقد تأكّد الخُسران في سورة العصر **(بالقَسم، وإنّ، واللّام، وفي الظّرفيّة)**، وتأكّد في سورة المسد بالتّكرار

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ت/ عبد الله علي الكبير، ومحمّد أحمد حسب الله، وهاشم محمّد الشّاذلي، د/ن: مادّة: (ت.ب.ب)

(تَبَّتْ، تَبَّ)، فلعلّ الافتتاح بإقرار الخُسران رشّح خلوّهما من الجذور المتعلِّقة **(بالسُّموِّ والحمد والرَّحمة والرُّبوبيَّة والعبوديَّة والصِّراط المستقيم والهدى والنِّعمة)**، وأمّا جذور **(الغضب والضّلال)** فهما منضويان تحت عباءة الخُسران.

سادسًا: وردت مادّة **(ع.ل.م)** في (٨٤) سورة، وهي بذلك تُظهر مكانة العِلم في القرآن الكريم، تلك المكانة الّتي قضت بأن تكون كلمة **(اقرأ)** هي أوّل كلمة تتنزّل من هذا الوحي، وذلك قوله تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} العَلق:١، ويمثِّل هذا الملمح وجهًا من أوجه التّماسُك النّصّيّ بين سورة الفاتحة بوصفها أوّل القرآن في ترتيب المصحف، وسورة العَلق بوصفها أوّل القرآن في ترتيب النُّزول.

سابعًا: تدور غالبيّة جذور الفاتحة حول منزِّل القرآن ــ سبحانه وتعالى؛ فهو الله والرَّبُّ والرَّحمن والرَّحيم، وهو المحمود، والملك، والمعبود، والمستعان، والهادي إلى الصِّراط المستقيم، والمُنعم، ثمَّ هو ــ جلّ شأنه ــ يغضب على من ضلّ الطّريق، والنّاظر إلى جذور الفاتحة يجد أكثرها انتشارًا في نسيج القرآن الجذرين: **(ر.ب.ب)** الّذي ورد في (٩٤) سورة، و**(أ.ل.ه)** الّذي ورد في (٨٦) سورة؛ لتتساوق سائر السُّوَر مع الفاتحة من حيث الحديث عن المولى ــ سبحانه وتعالى.

ثامنًا: تدور غالبيّة جذور الفاتحة حول: **(الرَّحمة، والحمد، والرُّبوبيَّة، والهداية، والاستقامة، والنِّعمة)**، وتقلّ فيها جذور **(الغضب والضّلال)**، والمتأمِّل في سريان جذور الفاتحة في القرآن يلحظ الأمر ذاته؛ من غلبة جذور اللِّين واليُسر، وقِلّة جذور الشِّدّة والعُسر؛ فقد وردت مشتقّات الجذر **(غ.ض.ب)** في (١٥) سورة، ومشتقات الجذر **(ض.ل.ل)** في (٥٦) سورة،

والجذران مجتمعان لا ينهضان للمقارنة ببقيّة جذور الفاتحة الّتي تفوق هـذين الجذرين بأضعافٍ كثيرةٍ، وممّا يتفرّع عن هذه النُّقطة ما يأتي:

* تفوّق الجذر **(ه.د.ي)** على الجذر **(ض.ل.ل)** في سائر القرآن؛ إذ ورد الأوّل في (٦١) سورة، والثّاني في (٥٦) سورة، وفي ذلك إشـارة إلـى أنّ الغلبة للهدى أبدًا، وإن بدا الضّلال منتفشًا.

* ورد الجذر **(ر.ح.م)** في (٦٢) سورة، والجذر **(غ.ض.ب)** في (١٥) سورة، والبون الشّاسع بين انتشار الجذرين يؤكّد حقيقة أنّ رحمة الله غلبـت غضبه بما لا يُقايَس.

تاسعًا: تكرّر الجذر **(ن.ع.م)** في (٦٠) سورة، والجـذر **(ح.م.د)** فـي (٤٤) سورة، ولعل في ذلك إشارةً إلى كون الحمدِ المقدّم من النّاس لا يكـافئ ما هم في من النِّعَم؛ لتقصيرهم من جهةٍ، ولكثرتها من جهةٍ أخرى، ولعِظـم المُنعِم من جهة ثالثةٍ.

عاشرًا: ورد الجذر **(ع.ب.د)** في (٥٧) سورة، وهو ما يمثّل نصف عدد سور القرآن، وقد يُفهم من هذا أنّ الإنسان عليه أن يوازن في أحوالـه بـين العبادة **(الدِّين)** وحظّ النّفس **(الدُّنيا)**، فكأنّ الأمر مناصفة بين الدِّين والدُّنيا؛ لا تفريط في دينٍ، ولا نسيان لنصيبٍ من الدُّنيا.

حادي عشر: غطّى الجذر **(ض.ل.ل)** (٥٦) سورة، لكنّ اللّافت للنّظر أنّ الجذر **(غ.ض.ب)** الَّذي هو جزاء الضّلال لم يرد إلّا في (١٥) سورة، وهـذا يُظهر مدى لُطف الله بعباده، ورحمته بهم؛ إذ لا يقابل ضلالهم بعقابـه، بـل يُرخي لهم العِنان؛ ليعودوا، وهو المعنى الّذي تضافرت جذور الفاتحة لتأديته؛ فقد لفّت الرّحمة جنباتها. والله أعلم.

***

المحور الثَّاني

نسبة تكرار جذور الفاتحة إلى مجمل كلمات القرآن

يتألّف القرآن الكريم من (١٧٦٧) جذرًا، مكوِّنةً (٧٧٤٣٧) كلمةً، هي عدد كلمات القرآن المشتقّة من هذه الجذور.

من بين هذه الجذور اختارت سورة الفاتحة (١٧) جذرًا ومجموعةً من الأدوات وحروف الرَّبط، وقد تغلغلت تلك الجذور المختارة في نسيج القرآن بشكلٍ ملحوظ للغاية، وفيما يأتي جدول يبيّن عدد مرّات تردُّد كلمات الفاتحة ومشتقّاتها في القرآن الكريم:

م	الجذر/ الحرف/ الأداة	عدد مرّات التّكرار في القرآن
١	س م و	٣٨١
٢	أ ل ه	٢٨٤٩
٣	ر ح م	٣٣٩
٤	ح م د	٦٨
٥	ر ب ب	٩٨٢
٦	ع ل م	٨٥٥
٧	م ل ك	٢٠٦
٨	ي و م	٤٧٦
٩	د ي ن	١٠١
١٠	ع ب د	٢٧٥
١١	ع و ن	١١
١٢	ه د ي	٣١٦
١٣	ص ر ط	٤٥

م	الجذر/ الحرف/ الأداة	عدد مرّات التّكرار في القرآن
١٤	ق و م	٦٦٠
١٥	ن ع م	١٤٤
١٦	غ ض ب	٢٤
١٧	ض ل ل	١٩١
١٨	إيّا	٢٦
١٩	الّذي	١١٣٢
٢٠	على	١٣٨٦
٢١	غير	١٤٢
٢٢	ولا	١٤٧٠
الإجمالي	٢٢ مفردة	١٢٠٧٩

ولمزيد تقريبٍ يمكننا حساب عدد مرّات تكرار جذور الفاتحة في القرآن بالنِّسبة المئويّة(١):

عدد كلمات القرآن	(٧٧٤٣٧)
عدد مرّات وُرود كلمات الفاتحة	(١٢٠٧٩)
نسبة كلمات الفاتحة إلى كلمات القرآن	(١٥,٦ %)

إنّ سورةً لم يتجاوز عدد آياتها أصابع اليدين، وتستحوذ كلماتها على سُدُس كلمات القرآن تقريبًا؛ حقيقة بأن تكون أمِّ القرآن الّتي عنها يتفرّع، وأن تتصدّره مُشَكِّلَةً مساراته البنائيّة والموضوعاتيّة.

***

(١) هذا الجدول ومحتوياته من إحصاء الباحث.

المبحث الثَّاني

اطِّراد البناء التَّركيبيِّ

يقوم هيكل سورة الفاتحة على عدَّة لبنات تتعالق فيما بينها مكوِّنةً مجموعة من التّراكيب، والنّاظر إلى هذه التّراكيب وتلك اللّبنات يجدها بمثابة الأصول الهندسيَّة الّتي قامت عليها أركان القرآن الكريم، فهي ليست تخصُّ الفاتحة وحدها، بل تؤصِّل لخيطٍ يطّرد في سائر السُّوَر، ويهدف هذا المبحث إلى رصد هذا الاطِّراد عبْر أربعة مَحاور:

الأوّل: تعالق البِنى الرئيسة.

الثّاني: الأفعال.

الثّالث: التراكيب الثّابتة (المسكوكات).

الرّابع: البداية والنِّهاية الاسميَّتان.

***

المحور الأوَّل

تعالق البِنى الرئيسة

تتكوَّن سورة الفاتحة من مجموعة من الألفاظ القليلة، اختيرت بعناية، ورُكِّبت مع غيرها بطريقة تجعل من هذه السُّورة منطلقًا للمبنى القرآنيّ، كما كانت مضامينها مبدءًا لمضامينه، وغاية هذا المحور الوقوف أمام البِنى المكوِّنة لسورة الفاتحة، وطريقة تشابكها، وكيف سرى هذا في أوصال القرآن.

*** اللّه:**

هذا أوّل ذِكرٍ لله في القرآن الكريم {**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**}. [الفاتحة:١]، فلمّا ورد هذا الاسم أوّلًا ناسبه أن يكون أكثر أسماء الله ورودًا في القرآن الكريم؛ إذ ورد (٩٨٠) مرّة، محقِّقًا أعلى نسبة ورود في أسماء الله.

*** الرَّحمن:**

شُفعت هذه الكلمة بكلمة (**الرَّحيم**) مرّتين في سورة الفاتحة (الآيتان: ١، ٣)، وقد التزمت كلمة (**الرَّحمن**) هذا التّعالق على مدار القرآن؛ فلم ترد مع وصفٍ لله إلّا مع (**الرَّحيم**)، ورد هذا أربع مرّات في القرآن كله، إضافة إلى موضعَي الفاتحة:

١. {**وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**}. [البقرة:١٦٣].
٢. {**إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**}. [النّمل:٣٠].
٣. {**تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**}. [فُصِّلت:٢].
٤. {**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**}. [الحَشر:٢٢].

ولعلّه من الملاحظ أنّهما جاءا ــ كما حدث في الفاتحة ــ في الفاصلة، وأنّ (**الرَّحمن**) جاءت متقدِّمة على (**الرَّحيم**) في الآيات الأربع كلِّها.

*** الرَّحيم:**

وقعت هذه الكلمة في ذيل آيتين من آيات الفاتحة (١، ٣)، وقد ارتبطت بغيرها **(الرَّحمن)** فلم تأت منفردة، وكذلك شأنها في سائر القرآن؛ فقد وردت (١١٥) مرَّة في القرآن؛ منها (١١٢) مرَّة جاءت مع غيرها من أوصاف الله.

وكما جاءت متأخِّرة على كلمة **(الرَّحمن)** في سورة الفاتحة جاءت متأخِّرة في (١١٣) موضعًا من إجمالي (١١٥) موضعًا في القرآن كلِّه.

ومن أمثلة ارتباطها بغيرها، وتأخُّرها في الورود:

_ **{إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم}**. [البقرة:٣٧].

_ **{وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم}**. [يونُس:١٠٧].

_ **{وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم}**. [الشُّعراء:٩].

_ **{إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيم}**. [الطُّور:٢٨].

*** الحمد:**

وردت هذه الكلمة في سورة الفاتحة مركّبة مع غيرها (لله)، متقدِّمةً على لفظ الجلالة **(الله)**، معرَّفةً بالألف واللام، وعلى هذا أغلب مجيئها في سائر القرآن؛ فقد وردت (٤٣) مرَّةً: منها (٣٨) مرَّة مركّبة مع غيرها، و(٣٨) مرَّة متقدِّمةً، و(٢٨) مرَّة معرَّفةً بالألف واللام.

ولم تأتِ كلمة **(الحمد)** معرَّفة أو منكّرة إلّا في حقّ الله، مثلما فعلت في سورة الفاتحة.

بقي أن نشير إلى أنّ جذر **(الحمد)** ورد (٦٨) مرَّة في القرآن، كلُّها عدا واحدة (آل عمران: ١٨٨) جاءت على صيغة الاسم، على غرار ما اختارت سورة الفاتحة.

*** ربّ:**

وردت هذه الكلمة في سورة الفاتحة مفردةً، مضافةً، وهذه حالها في نسيج القرآن؛ فهي تلتزم حال الإفراد؛ فقد وردت مفردة (٩٧٤) مرّة من أصل (٩٨٧) مرّة، وكذلك تلتزم حال الإضافة في (٩٧٢) موضعًا.

أضيفت كلمة **(ربّ)** في الفاتحة إلى كلمة **(العالَمين)**، وهي أكثر الكلمات التي أضيفت إليها كلمة **(ربّ)** في القرآن الكريم؛ فقد أضيفت كلمة **(ربّ)** إلى اسم ظاهر في (٨٢) موضعًا؛ منها (٤٢) موضعًا مع كلمة **(العالَمين)**، وبقيّة المواضع موزّعة على عدّة كلمات أخرى، مثل: (ربّ السّماوات والأرض، ربُّ الشِّعرى، ربُّ آبائكم، ربّ العرش، ربّ هارون وموسى، ربّ المشرق والمغرب، رب المشارق والمغارب، ربّ العزّة، ربّ المشرقين، ربّ الفلق، ربّ النّاس).

*** العالَمين:**

اتّسمت هذه الكلمة في سورة الفاتحة بعدّة سمات؛ الجرّ، والإضافة بصحبة كلمة **(ربّ)**، والجمع، والتّعريف بالألف واللام، والوقوع في الفاصلة، وتلك هي سماتها في القرآن الكريم؛ فلم تأتِ إلّا مجرورة، ولم تصحب اسمًا من أسماء الله إلّا الاسم **(ربّ)**، ولم ترد إلّا على صيغة الجمع، وليس هذا فحسب، فقد التزمت صيغة جمع المذكّر السّالم، فلم تأتِ على **(عوالم)** مثلًا، كذلك لم ترد إلّا معرّفة بالألف واللام، ووردت في الفاصلة في (٧٢) موضعًا من أصل (٧٣) موضعًا هي عدد مرّات ورودها في القرآن كلّه، وحتّى هذا الموضع الوحيد الّذي لم ترد فيه في الفاصلة وردت قبل الفاصلة بكلمة واحدة، ولو التزمت الآية التّرتيب الطّبيعيّ للجملة لوقعت كلمة (العالمين) فاصلة فيها،

وذلك قولـــه تعـــالى: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا}. [الفُرقان:١].

*** مالك:**

وردت هذه الكلمة في الفاتحة مضافةً، في سياق الحديث عـــن القيامـــة: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}. [الفاتحة:٤]، وقد وردت مرّة أخرى فقط في القرآن الكريم، في قوله تعالى: **{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ* قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**. [آل عمران:٢٥،٢٦]، والملاحظ أنّها في هذه المـــرّة التزمـــت الطّريقة نفسها والسّياق ذاته الذي جاءت عليه في الفاتحة؛ فهي مضافة **(مالك الملك)**، في سياق الحديث عن القيامة **(ليوم لا ريب فيه)**، مـــع الأخـــذ فـــي الاعتبار التّعبير عن القيامة في السّياقين (الفاتحـــة:٤، آل عمـــران:٢٥،٢٦) باستخدام كلمة (يوم: يوم الدّين، يوم لا ريب فيه).

*** يوم:**

وردت هذه الكلمة (٤٧٦) مرّة، مفردة ومُثنّاة ومجموعة، وهـــي علـــى شيوعها تتّصل بقوّة بأوّل ذِكر لها في الفاتحة؛ فقد جاءت مفردة ــ كما هـــي حالها في الفاتحة ــ (٤٤٦) مرّة، ومثلما ارتبطت بالقيامة في الفاتحة فعلـــت (٣٨٩) مرّة في سائر القرآن، بل إنّها ارتبطت بما قبلها أو مـــا بعـــدها مـــن كلمات (٣٩٤) مرّة عن طريق الوصف أو الإضافة، وما ذلك إلّا صدًى لِمـــا حدث في فاتحة القرآن.

إنّ أوّل ذِكر لكلمة **(يوم)** كان في حقّ القيامة {يَوْمِ الدِّينِ}، وكذلك آخـــر ذِكر لها جاء في حقّ القيامة {ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}. [التّكاثر:٨]، فكأنّما

يوم القيامة هو وحده الّذي يستحقّ إطلاق **(اليوم)** عليه؛ لطوله ومشقَّته، ولعلّ في مجيئه غالبًا بصيغة الإفراد ما يقوِّي من ذلك؛ فكأنّه لصعوبته على الخلق لا يحتاج لأنْ يُثنّى أو يُجمع؛ إذ هو يومٌ بآلاف السِّنين. والله أعلم.

*** الدِّين:**

وردت كلمة **(الدِّين)** بمعنى **(البعث والجزاء)** في (١٦) آيةً غير آية الفاتحة؛ جاءت فيها كلّها معرَّفةً بالألف واللام، وفي (١٥) منها مجرورةً، وفي (١٥) منها فاصلة الآية، وفي (١٢) منها مع كلمة **(يوم)**، وتلك هي سماتها في سورة الفاتحة (التّعريف بالألف واللام، والجرّ، والوقوع في الفاصلة، والارتباط بكلمة يوم)، انسحبت عليها في نسيج القرآن.

*** نعبد:**

جاء هذا **(الفعل)** في سورة الفاتحة بصيغة المضارع، دالًّا على الجمع، في قصر العبادة على الله وحده، ثم ورد في سائر القرآن (١٢٢) مرَّة، تفصيلها كما يأتي:

– جاء بصيغة المضارع (٨١) مرَّة، ولعلّ في ذلك إشارة إلى كون العبادة إنّما تتجدّد مرَّة بعد مرَّة، فالصّلاة تتجدّد كلّما حان وقتها، وكذا الصِّيام، والزّكاة، والحجّ.

– جاء دالًّا على الجمع (٩٠) مرَّة، وفي ذلك إلماحٌ إلى كون العبادة واجبةً على الجميع، وأنّها تؤدّى في جمعٍ، كالصّلاة والحَجّ.

– جاء في حقّ الله (٦٧) مرَّةً، أكثرها يخصِّص الله وحده بالعبادة، وهذا متناسبٌ للغاية مع كونه سبحانه المستحقّ الأوحد للعبادة، المتفرِّد بها. والله أعلم.

*** نستعين:**

لا يأتي هذا الفعل في القرآن كلِّه إلا دالًّا على الجمع، مثلما حدث في الفاتحة، فقد ورد (٣) مرّات، على النّحو الآتي:

١. **{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين}.** [البقرة:٤٥].

٢. **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}.** [البقرة:١٥٣].

٣. **{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين}.** [الأعراف:١٢٨]، وفي مجيئه دالًّا على الجمع إيماءٌ إلى كون الجميع في حاجة فطريّة إلى الاستعانة بالله. والله أعلم.

ورد الفعل **(نستعين)** في الفاتحة مصحوبًا بقصر العبادة على الله **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}**، وكذا حدث في السورتين اللّتين جاء فيهما (البقرة، الأعراف)؛ ففي سورة البقرة: **{لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ}.** [٨٣]، **{إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}.** [١٧٢]، وفي الأعراف: **{اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ}.** [٥٩]، **{لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ}.** [٧٠]، وفي الارتباط بين الاستعانة وقصر العبادة على الله تناسب شديد؛ ذلك أنّ المستحقّ للعبادة وحده دون غيره هو الّذي يستأهل أن يكون المستعان الأوحد. والله أعلم.

صُحب الفعل **(نستعين)** بكلمة **(الصِّراط)** مرّتين في سورة الفاتحة: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}.** [الفاتحة:٧]، وهذا عينه حدث في سورتَي (البقرة، والأعراف)؛ ففي البقرة: **{يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}.** [١٤٢]،

{وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}. [٢١٣]، وفي الأعراف: **{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيم}**. [الأعراف:١٦]، **{وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ}**. [٨٦]، ولعلّ في الارتباط بين الاستعانة والصّراط إشارة إلى كون الصِّراط المستقيم هو أوجب ما يُستعان على الوصول إليه. والله أعلم.

لُحِق الفعل **(نستعين)** في سورة الفاتحة بكلمة **(اهدنا)**، وهي في حقّ المستعينين بالله، وكذا حدث في كلّ مرّة ورد فيها فعل الاستعانة؛ إذ لُحِق بهداية في حقّ من جاءت الاستعانة معهم، وفيما يأتي بيان ذلك:

م	الآية التي فيها فِعل الاستعانة	الآية التي فيها الهداية	المتحدَّث عنه
١	{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين}. [الفاتحة:٥].	{اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم}. [الفاتحة:٦].	المؤمنون
٢	{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِين}. [البقرة:٤٥].	{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُون}. [البقرة:٥٣].	بنو إسرائيل
٣	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِين}. [البقرة:١٥٣].	{أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}. [البقرة:١٥٧].	الصّابرون
٤	{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللّهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين}. [الأعراف:١٢٨].	{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِين}. [الأعراف:١٤٨]	موسى وقومه

بقي أن نشير إلى أنّ أول استعانة وردت كانت في حقّ الله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}. [الفاتحة:٥]، وكذلك آخر استعانة كانت في حقه سبحانه: {وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُون}. [الأنبياء:١١٢]، فهو وحده أهل الاستعانة.

*** اهدنا:**

جاءت هذه الكلمة بصيغة الأمر، مرتبطة بكلمة **(الصِّراط)**: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}. [الفاتحة:٦]، وقد جاءت الهداية بصيغة الأمر في سائر القرآن في موضعين، إضافة إلى موضع الفاتحة:

١. **{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيم}**. [الصافات:٢٣].

٢. **{وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاط}**. [ص:٢٢].

ويلاحَظ على هذه المواضع أمران؛ الأوّل: الارتباط بين الهداية والصِّراط، والثّاني: اشتمالها على جهات طلب الهداية جميعها، على النّحو الآتي:

- في [الفاتحة] **(المخلوق يطلب من الخالق)**: المخلوق يدعو ربّه.
- في [الصّافّات] **(الخالق يطلب من المخلوق)**: الله يطلب من الملائكة.
- في [ص] **(المخلوق يطلب من المخلوق)**: الخصوم يطلبون من داود.

*** الصِّراط:**

تكرّرت هذه الكلمة مرّتين في سورة الفاتحة: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}. [الفاتحة:٦،٧]؛ موصوفةً مرّة، ومضافةً مرّة، ووُصفت بكلمة **(المستقيم)**، في رحاب الحديث عن الهداية، وقد وقعت متطرِّفة في نهاية الآية، والمتتبِّع لكلمة **(الصِّراط)**

يلحظ سريانها في نسيج القرآن على المنوال ذاته الّذي سارت عليه في الفاتحة؛ فقد وردت (٤٣) مرّة، تفصيلها على النّحو الآتي:

أوّلًا: من جهة التّكرار: وردت مكرّرة في (١٤) سورة، بمجموع (٣٣) آية، ولعلّ في التّكرار إلحاحًا على كون الصِّراط المستقيم هو الهدف المنشود الّذي ينبغي السّعي الحثيث إليه.

ثانيًا: من جهة الوصف والإضافة: وُصفت (٣٤) مرّة، وأضيفت (٦) مرّات، فمعظم ورودها إمّا موصوفة، وإمّا مضافة.

ثالثًا: من جهة الاتّصاف بكلمة **(المستقيم)**: وردت معها (٣٢) مرّة، وقد تحمل كثرة الاتّصاف بالاستقامة إشارة إلى كون هذا الصِّراط هو الأنقى والأبقى والأقوى، وممّا يقوي من ذلك أنّ كلمة **(الصِّراط)** لم توصف وصفًا سلبيًّا إلّا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: **{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}**. [الصّافات:٢٣]، فكلُّ صراط يخالف الصِّراط المستقيم ضعيفٌ قليلٌ فانٍ، وإن بدا بخلاف ذلك.

رابعًا: من جهة الارتباط بالهداية: وردت **(٢٥)** مرّة مع الهداية.

خامسًا: من جهة وقوعها في خاتمة الآية: جاءت في خاتمة **(٣٦)** آية، ولعلّ في مجيء الصِّراط في نهايات الآيات إلماحًا إلى كونه الغاية العُظمى الّتي تنتهي إليها كل الغايات، فلا شيء يُرجى بعد الصِّراط المستقيم، والله أعلم.

بقي أن نشير إلى أنّه إذا كان أوّل ذِكر للصِّراط جاء مع الهداية والاستقامة، فإنّ آخر ذِكر له ورد مع هذين الأمرين كذلك؛ لتتجاوب أصداء القرآن، وتترابط تراكيبه، قال تعالى: **{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}**. [الملك:٢٢].

*** المستقيم:**

جاءت هذه الكلمة في سورة الفاتحة وصفًا لكلمة **(صراط)** في فاصلة الآية: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم}. [الفاتحة:٦]، وهي في سائر القرآن ــ غالبًا ــ كذلك؛ فقد وردت **(٣٦)** مرّة، بيانها فيما يأتي:

- التزمت الوصفيّة في القرآن كلِّه.
- لم تأتِ في غير الفاصلة إلّا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ}. [الأنعام:١٥٣].
- جاءت مع كلمة **(صراط)** في **(٣٢)** آية.

*** أنعمت:**

جاءت هذه الكلمة في الفاتحة بصيغة الماضي، بعد اسم موصول، والتصق بها حرف الجر **(على)**، وهي في حقّ الله سبحانه، وقد وردت في سائر القرآن **(١٦)** مرّة؛ كلُّها بصيغة الماضي، فليس في القرآن **(أَنْعِمْ)** ولا **(يُنعمُ)**، وكلُّها شُفع بحرف الجرّ **(على)**، وكلُّها إلّا واحدة في حق الله تعالى، و**(١٠)** منها بعد اسم موصول.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الفعل **(أنعم)** يصاحبه غالبًا ــ كالحال في الفاتحة ــ الصراط ومرادفاته **(سبيل، طريق)**، فكأنّ غاية الإنعام وذروته الهداية إلى الصِّراط المستقيم، وفيما يأتي بيان ذلك:

م	الآية التّي فيه (أنعمَ)	الآية الّتي فيها (الصراط) أو مرادفاته
١	{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}. [الفاتحة:٧].	{اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم}. [الفاتحة:٦].
٢	{اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ}.	{يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ

م	الآية التّي فيه (أنعمَ)	الآية الّتي فيها (الصراط) أو مرادفاته
	[البقرة:١٢٢،٤٧،٤٠].	مُّسْتَقِيم}. [البقرة:١٤٢]. {وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}. [البقرة:٢١٣].
٣	{فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم}. [النساء:٦٩]. {قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيَّ}. [النساء:٧٢].	{وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}. [النساء:٦٨]. {وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا}. [النساء:١٧٥].
٤	{أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا}. [المائدة:٢٣].	{وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم}. [المائدة:١٦].
٥	{وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا}. [الإسراء:٨٣].	{فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلا}. [الإسراء:٨٤].
٦	{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم}. [مريم:٥٨].	{فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا}. [مريم:٤٣].
٧	{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}. [النمل:١٩].	{فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُون}. [النمل:٢٤].
٨	{قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِين}. [القصص:١٧].	{عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيل}. [القصص:٢٢].
٩	{وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ}. [الأحزاب:٣٧].	{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيل}. [الأحزاب:٤].

م	الآية التّي فيه (أنعمَ)	الآية الّتي فيها (الصراط) أو مرادفاته
١٠	{إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيل}. [الزخرف:٥٩].	{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُون}. [الزخرف:٣٧].
١١	{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ}. [الأحقاف:١٥].	{يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيم}. [الأحقاف:٣٠].

*** المغضوب:**

ورد جذر (غضب) (٢٣) مرّة في القرآن، إضافة إلى موضع الفاتحة، والملاحظ أنّه ــ غالبًا ــ ما يأتي بصيغة الاسم، كما أتى في الفاتحة؛ فقد ورد (١٧) مرّة اسمًا، و(٦) مرّات فعلًا.

وترتبط هذه الكلمة في سورة الفاتحة بشبكة من العلاقات تربطها بالكلمات المجاورة لها (**الهداية إلى الصِّراط، الإنعام، الضّلال**)، والملاحظ أنّ هذه الشّبكة صاحبت هذه الكلمة على امتداد النّصِّ القرآني، وفيما يأتي بيان ذلك:

م	السُّورة	الغضب	الهداية إلى الصِّراط	الإنعام	الضّلال
١	الفاتحة	٧	٦	٧	٧
٢	البقرة	٦١، ٩٠	١٤٢، ٢١٣	٤٠، ٤٧، ١٢٢، ١٥٠	١٠٨
٣	آل عمران	١١٢	١٠١		٩٠
٤	المائدة	٦٠	١٦	٣، ٦، ٢٣	٤٤، ٨٨، ١٤٣

م	السُّورة	الغضب	الهداية إلى الصِّراط	الإنعام	الضَّلال
٥	النِّساء	٩٣	١٧٥	٦٩، ٧٢	١٢، ٦٠، ٧٧
٦	الأعراف	٧١، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٤	١٦		٣٠
٧	الأنفال	١٦		٥٣	
٨	النّحل	١٠٦	١٢١	٨١	٣٦، ١٢٥
٩	طه	٨١، ٨٦	١٣٥		
١٠	الأنبياء	٨٧			
١١	النُّور	٩	٤٦		
١٢	الفتح	٦	٢، ٢٠	٢	
١٣	المجادلة	١٤			
١٤	الممتحنة	١٣			١
١٥	الشُّورى	٣٦، ٣٧	٥٢، ٥٣		٤٦

* **الضّالّين:**

تتّصف هذه الكلمة بصفتين في سورة الفاتحة؛ الجمع، والوقوع في الفاصلة؛ وقد التصقت بها هاتان الصِّفتان في سائر القرآن، فلم تأتِ مفردة إلّا في موضع واحد، وهو قوله تعالى: **{وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}. [الضحى:٧]**، ولزمت الجمع في (١١) موضعًا، والأمر ذاته حدث مع الفاصلة، فلم تغادر موقع الفاصلة إلّا مرّة واحدة، وهو قوله سبحانه: **{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ}[الواقعة:٥١]**.

***

المحور الثَّاني

الأفعال

اشتملت سورة الفاتحة على أربعة أفعال؛ اثنان منها بصيغة المضارع: **(نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ)**، وواحد بصيغة الأمر: **(اهْدِنَا)**، وواحد بصيغة الماضي: **(أَنْعَمْتَ)**، ومعنى هذا أنَّ حصة الفعل المضارع في الفاتحة تساوي حصَّتَي الفعلين الأمر والماضي.

ومن العجيب أن تأتي الأفعال في القرآن الكريم محافظة على هذه القسمة الّتي انتهجتها سورة الفاتحة؛ إذ حاز الفعل المضارع ما يكافئ ما حازه الفعلان الأمر والماضي في سائر القرآن، يقول أحد أصحاب المعاجم: إنَّ "**الفعل المضارع يساوي في الوزن النِّسبيِّ ــ لفظيًّا ــ كلًّا من الفعلين الماضي والأمر مجتمعَين، وعليه فمضارع القرآن أكثر من ماضيه، وأكثر من أمرِه**"(١)، ولعلّ غلبة الفعل المضارع في القرآن ــ بدلالته على التّجدُّد والاستمرار ــ تعود إلى كونه كتابًا خاتمًا يناسب كلّ زمان ومكان، تتجدَّد الحوادث فيناسبها، وتستمرُّ الخطوب فيسعها، ولكونه يضع القارئ نصب عينيه؛ فيجعله يعايش الأمور الماضية **(مثل: قصص السابقين)** والمستقبلة **(مثل: القيامة)** كما لو كان يراها رؤيا عين، والفعل المضارع خير من يؤدِّي هذه الوظيفة، ويعضِّد من ذلك ابتداء القرآن بفعلين مضارعَين **(نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ: الفاتحة)**، وانتهاؤه كذلك بفعلين مضارعَين **(أَعُوذُ، يُوَسْوِسُ: النّاس)**. والله أعلم.

---

(١) معجم أفعال القرآن الكريم، أيمن الشّاذليّ، دار اللُّؤلؤة، مصر، ط/١، ٢٠٢١م: ج/١، إحدى صفحات المقدِّمة (المقدِّمة ليست مرقّمة)

ومِمَّا هو متّصل بهذه النُّقطة أنَّ الفعل المضارع التزم **(حالة الرَّفع)** في سورة الفاتحة، واللّافت للنّظر أنَّ أكثر الحالات الإعرابيَّة للفعل المضارع شيوعًا في القرآن هي **(حالة الرَّفع)**؛ ذلك "**أنَّ الفعل المضارع المرفوع من أفعال القرآن أكثر ورودًا من المضارع المنصوب والمجزوم**"(١).

***

(١) السَّابق نفسه.

المحور الثَّالث

التراكيب الثَّابتة (المسكوكات)

اشتملت سورة الفاتحة ــ على قلّة عدد آياتها ـــ على مجموعة من التّراكيب الثّابتة **(المسكوكات)**، والمقصود بالتّراكيب الثّابتة: تلك الّتي تتكرّر في النّصّ على الهيئة نفسها الّتي وردت عليها في المرّة الأولى؛ ممّا يُضفي على الرُّقعة النّصيّة تلاحمًا، إذ تقوم بعامل الرّبط بين أجزاء النّصّ، إنّها تمثّل عَودًا على بدءٍ، وتردٌّ عجزًا على صدرٍ، فهي بمثابة النّغمة الّتي تتكرّر بين الحين والحين؛ فتُشعر المتلقّي بوحدة العمل وانسجام مقطوعاته، ومعنى هذا أنّنا لسنا في هذا المحور أمام مفردات تتكرّر، وإنّما نحن في رحاب كلمتين فأكثر، وربّما أمام آية كاملة.

وفيما يلي جدول يوضّح ما في سورة الفاتحة من مسكوكات(١)، ويُظهِر مدى انتشارها في القرآن الكريم:

م	المسكوكة الواردة في سورة الفاتحة	السُّور الّتي وردت فيها هذه المسكوكة
١	(بِسْمِ اللَّهِ)	(هود:٤١)، (النّمل:٣٠).
٢	(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)	(البقرة:١٦٣)، (النّمل:٣٠)، (فُصِّلت:٢)، (الحشر:٢٢).
٣	(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)	(النّمل:٣٠).

(١) يقتصر هذا الجدول على التّراكيب المتكرّرة بعينها دون أدنى تغيير في بنيتها؛ فعلى سبيل المثال تمّ استبعاد **(لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، بِرَبِّ الْعَالَمِينَ)**؛ لدخول حرف الجر **(اللّام، الباء)** على كلمة **(ربّ)**، وكذلك **(بِيَوْمِ الدِّينِ)**؛ لدخول حرف الجر **(الباء)** على كلمة **(يوم)**، وكذلك **(صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ)**؛ لخلوها جميعًا من التّعريف **(بالألف واللام)**، وللفصل بين كلمتي **(صراط، مستقيم)** بحرف **(على)** في التّركيب الأخير.

م	المسكوكة الواردة في سورة الفاتحة	السُّور الّتي وردت فيها هذه المسكوكة
٤	(الْحَمْدُ لِلَّهِ)	(الأنعام:١،٤٥)، (لأعراف:٤٣)، (يونُس:١٠)، (إبراهيم:٣٩)، (النّحل:٧٥)، (الإسراء:١١١)، (الكهف:١)، (المؤمنون:٢٨)، (النّمل:٩٣،٥٩،١٥)، (العنكبوت:٦٣)، (لقمان:٢٥)، (سبأ:١)، (فاطر:٣٤،١)، (الصّافّات:١٨٢)، (الزّمَر:٧٥،٧٤،٢٩)، (غافر:٧٥).
٥	(رَبِّ الْعَالَمِينَ)	(المائدة:٢٨)، (الأنعام:١٦٢،٤٥)، (الأعراف:١٠٤،٦٧،٦١،٥٤)، (يونُس:٣٧،١٠)، (الشُّعراء:١٩٢،١٨٠،١٦٤،١٤٥،١٢٧،١٠٩،٧٧،٢٣،١٦)، (النّمل:٤٤،٨)، (القَصص:٣٠)، (السّجدة:٢)، (الصّافَّات:١٨٢)، (الزُّمَر:٧٥)، (غافر:٦٥،٦٤)، (فُصِّلت:٩)، (الزُّخرف:٤٦)، (الجاثية:٣٦)، (الواقعة:٨٠)، (الحشر:١٦)، (الحاقة:٤٣)، (التّكوير:٢٩).
٦	(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	(الأنعام:٤٥)، (يونُس:١٠)، (الصّافّات:١٨٢)، (الزُّمَر:٧٥)، (غافر:٦٥).
٧	(يَوْمِ الدِّينِ)	(الحِجر:٣٥)، (الشُّعراء:٨٢)، (الصّافّات:٢٠)، (ص:٧٨)، (الذّاريات:١٢)، (الواقعة:٥٦)، (الانفطار:١٨،١٧،١٥).
٨	(الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)	(الصّافّات:١١٨).

***

المحور الرَّابع
البداية والنِّهاية الاسميَّتان

تبدأ سورة الفاتحة بكلمة **(بِسْمِ)** الّتي تنتمي إلى فرع **(الأسماء)**، وتنتهي كذلك بكلمة تنتمي إلى الفرع ذاته، وهي كلمة **(الضَّالِّين)**، ويتغيَّا هذا المحور النّظر في بدايات سائر السُّوَر ونهاياتها؛ للوقوف على أثر بداية الفاتحة ونهايتها الاسميَّتَين على بقيَّة البدايات والنِّهايات.

إنّ النّاظر إلى مطالع السُّوَر يجدها كثيرًا ما تختار الاسم على الفعل؛ فثمة (٧٦) سورة افتُتحت بالاسم، وكأنّ البداية الاسميّة ــ بما يحمله الاسم من دلالات الثّبات والاستقرار ــ توحي بأنّ المضامين الآتية ثابتة قارَّة غير قابلة للتّغيير أو التّبديل، وإن تباعد زمان النزُّول، أو تنوّعت أجناس المستقبلين.

ونظرة أخرى إلى خواتيم السُّور تُظهر كذلك تفوُّق الاسم على الفعل؛ فهناك (٨٨) سورة خُتمت بالاسم، فكأنّها تنتهي بنهاية حاسمة حتميَّة، وبذلك تتجاوب الأصداء، وتتّحد الغايات؛ فما أنتَ مُقبل عليه أيُّها المتلقّي للقرآن حقيقةٌ راسخة، وما فرغتَ منه وانتهيتَ إليه واقعٌ محض، وقولٌ فصل. والله أعلم.

بقيت الإشارة إلى أنّه كما بَدأت الفاتحة باسمٍ في حقّ الله **(بسم الله)** وانتهت باسمٍ في حقّ البعيد عن الصِّراط القويم **(الضَّالِّين)**، كذلك حدث في آخر سورة بُدئت وخُتمت بالاسم، وهي سورة **(الكوثر)**؛ فقد بَدأت باسمٍ في حقّ الله **(إنّا أعطيناك)** وانتهت باسمٍ في حقّ البعيد عن سواء الصِّراط **(الأبتر)**، وبين البدايتين **(بسم الله، إنّا أعطيناك)** والنِّهايتين **(الضَّالِّين، الأبتر)** رباط متين؛ فالإله الّذي يُطلب إلينا أن نبدأ كلّ شيء باسمه **(بسم الله)** لا ريب في كونه المعطي الواهب **(إنّا أعطيناك)**، والضّال عن الصِّراط **(الضَّالِّين)** لا شك في كونه مقطوع الخير، معدوم الأثر **(الأبتر)**. والله أعلم.

المبحث الثَّالث
انسجامُ الفواصل الموسيقيُّ

الفاصلة جزء أصيل في الآية القرآنيَّة؛ فهي تمام المعنى، وباعثة الانسجام بين الآيات المتجاورات، ولعلّ أوجز تعريف للفاصلة هو أنّها: "**كلمة آخر الآية**"(١)، وقد احتوت سورة الفاتحة ــ كغيرها من السُّوَر ــ على مجموعة من الفواصل رُكِّبت ورُتِّبت بطريقة نحسب أنّ لها تأثيرًا بليغًا على سائر فواصل القرآن.

وفواصل سورة الفاتحة هي على التّرتيب: (**الرَّحيم، العالمين، الرَّحيم، الدِّين، نستعين، المستقيم، الضَّالِّين**"، ويلاحظ ــ ابتداءً ــ على هذه الفواصل ما يلي:

١. افتتاح السُّورة بفاصلة في حقّ الله تعالى (**الرَّحيم**).

٢. تكرار صيغة (**فعيل/ رحيم**) مرّتين في الفاصلة.

٣. قيام الفواصل كلها على حرف المد (**الياء**).

٤. اقتصار الفواصل على حرفَي (**النون، والميم**) في ختامها، مع غلبة حرف النُّون.

٥. ختام السُّورة بفاصلة جَمْعِيَّة (**الضَّالِّين**).

ويهدف هذا المبحث إلى بحث أثر تركيبة فواصل الفاتحة على فواصل القرآن كلِّها، وقوام هذا المبحث خمسة مَحاور، تبسط القول في تلك الملاحظات الخمس الفائتة، وهذه المَحاور هي:

---

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدِّين الزَّركشيّ، ت: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التُّراث، القاهرة، د/ط، د/ت: ٥٣/١.

الأوّل: فاصلة البداية (صفات الله في الفواصل القرآنيّة).

الثّاني: فاصلة صيغة فعيل.

الثّالث: الفواصل المَدِّيَّة.

الرّابع: حرف الرَّويّ.

الخامس: فاصلة الخِتام (الجمع).

***

المحور الأوَّل

فاصلة البداية

(صفات اللّه في الفواصل القرآنيَّة)

آثرت الفاصلة الأولى في الفاتحة وصف الله تعالى والحديث عنه **(الرَّحيم)**، فانسحب هذا الإيثار على (٢٦) سورة من سُور القرآن الكريم؛ فافتُتحت بوصف الله تعالى، وهو عدد كبير بالنسبة إلى كثرة الموضوعات المتحدَّث عنها في القرآن.

وليس هذا فحسب، بل إنَّ (١٩) سورةً من هذه السُّور الـ (٢٦) حذت حذو الفاتحة في الجمع بين أكثر من صفة لله تعالى في الفاصلة الأولى منها **(كلُّها إلّا سورة الجمُعة جمعت وصفين لله تعالى كالفاتحة)**، وفيما يلي بيان ذلك:

م	السورة	صفات الله في الفاصلة الأولى
١	الفاتحة	الرَّحمن الرَّحيم
٢	آل عمران	الحيّ القيُّوم
٣	النِّساء	رقيبًا
٤	هود	حكيم خبير
٥	إبراهيم	العزيز الحميد
٦	الإسراء	السَّميع البصير
٧	الأحزاب	عليمًا حكيمًا
٨	سبأ	الحكيم الخبير
٩	فاطر	قدير

م	السورة	صفات الله في الفاصلة الأولى
١٠	الزُّمَر	العزيز الحكيم
١١	غافر	العزيز العليم
١٢	فُصِّلت	الرَّحمن الرَّحيم
١٣	الشُّورى	العزيز الحكيم
١٤	الجاثية	العزيز الحكيم
١٥	الأحقاف	العزيز الحكيم
١٦	الحُجُرات	سميع عليم
١٧	الرَّحمن	الرحمن
١٨	الحديد	العزيز الحكيم
١٩	المجادلة	سميع بصير
٢٠	الحشر	العزيز الحكيم
٢١	الصَّفّ	العزيز الحكيم
٢٢	الجمُعة	الملك القدُّوس العزيز الحكيم
٢٣	التَّغابن	قدير
٢٤	التَّحريم	غفور رحيم
٢٥	المُلك	قدير
٢٦	الأعلى	الأعلى
٢٧	الإخلاص	أَحد

***

المحور الثَّاني

فاصلة صيغة فَعِيل

لصيغة **(فَعِيل)** حضورٌ بادٍ في فواصل سورة الفاتحة **(الـرَّحيم)**؛ فقد وردت مرَّتين **(الآيتان: ١، ٣)**، وهما في حقّ الله تعالى، والمتتبِّع لهذه الصِّيغة في فواصل القرآن كلِّها يلحظ ما يلي:

أوَّلًا: شيوع صيغة **(فَعِيل)** أكثر من غيرها في فواصل القرآن كما شاعت في الفاتحة، يقول أحد الباحثين: "**وصيغة فَعِيل أكثر هذه الصِّيغ استعمالًا في فواصل القرآن الكريم**"(١).

ثانيًا: أنَّ عدد الفواصل الّتي جاءت في وصف الله **(٥٢٩)** فاصلة، منها **(٤٦٣)** فاصلة على وزن **(فعيل)**، ولعلّ استعمال **(فعيل)** في حقّ الله كثيرًا مناسب غاية المناسبة لِما في صفات الله تعالى من الذّاتية والأزليَّة والثُّبوت والدَّوام، وتلك دلالات قارَّة في هذه الصِّيغة، فهي تدلُّ "**على معاناة الأمر وتَكراره، حتّى أصبح كأنّه خلقة في صاحبه، وطبيعة فيه كعليم**"(٢).

ثالثًا: أنَّ أكثر صفات اللَّه ورودًا في الفواصل القرآنيَّة الّتي على صيغة **(فعيل)** هي الصِّفة **(رحيم)**؛ إذ وردت **(١١٢)** مرَّة، من إجمالي **(٤٦٣)**، والباقي توزَّع على **(١٨)** صفة أخرى لله تعالى على النّحو الآتي:

م	الصِّفة	عدد مرّات ورودها في الفاصلة
١	عليم	٨٩

(١) الفواصل القرآنيَّة: دراسة بلاغيَّة، د/ السَّيِّد خضر، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط/١، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م: ص/١١٨.

(٢) معاني الأبينة في العربيَّة، د/ فاضل صالح السَّامرَّائيّ، دار عمَّار، عمان، ط/٣، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م: ص/١٠٢، ١٠٣.

م	الصِّفة	عدد مرَّات ورودها في الفاصلة
٢	حكيم	٨١
٣	قدير	٤٤
٤	بصير	٣٥
٥	خبير	٢٩
٦	حميد	١٦
٧	شهيد	١٢
٨	وكيل	١١
٩	حليم	٩
١٠	عزيز	٧
١١	كبير	٥
١٢	حسيب	٣
١٣	عظيم	٣
١٤	رقيب	٢
١٥	قريب	٢
١٦	كريم	٢
١٧	مجيد	٢
١٨	متين	١

إنَّ هذا السِّريان الواضح لصيغة **(فَعِيل)** في خواتيم آيات القرآن ناظرٌ إلى سريانها في مطلع القرآن **(الفاتحة)**، وممدود إليه بسبب. والله أعلم.

***

المحور الثَّالث

الفواصل المَدِّيَّة

جاء في فواصل الفاتحة كلُّها حرف مدٍّ قبل الحرف الأخير، وأوثر حرف المدِّ **(الياء)** على غيره من **(الواو، والألف)**، هذه الفواصل هي: **(الرحيم، العالمين، الرَّحيم، الدِّين، نستعين، المستقيم، الضَّالِّين)**، فنحن إذن في سورة الفاتحة أمام ملاحظتين:

الأولى: التزام المدِّ في الفواصل كلِّها.

الثَّانية: إيثار المدِّ بحرف الياء.

أمَّا فيما يخصُّ الملاحظة الأولى **(التزام المدِّ في فواصل الفاتحة كلِّها)**، فمعلوم أنَّ عدد آيات القرآن الكريم (٦٢٤٧) آية، والنّاظر إلى نسبة الفواصل القائمة على حروف المدّ إلى مجمل عدد فواصل القرآن يلحظ شيوعها شيوعًا كبيرًا؛ فقد جاءت (٥١٤٣) فاصلة مُؤْثِرة الاتِّكاء على حروف المدّ **(الياء، الواو، الألف)**، وهو عدد يُظهر بما لا يدع مجالًا لشكٍّ مدى التّناسب بين فواصل القرآن وفواصل الفاتحة فيما يخصُّ حروف المدّ، يقول السُّيوطيُّ: "**كثُر في القرآن ختم الفواصل بحروف المدِّ... وحكمته وجود التّمكُّن من التّطريب**"(١)، فالوقوف على رؤوس الآيات بعد الحرف الممدود يُحدِث نغمًا وتطريةً للمتلقِّي، وبخاصّة إذا تتابعت الفواصل الممدودة.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدِّين السُّيوطيُّ، ت/ مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشُّؤون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السُّعوديّة، د/ط، د/ت: ٣١٤/٣.

وأمَّا ما يتعلّق بالملاحظة الثّانية **(إيثار المدِّ بحرف الياء في فواصل الفاتحة كلِّها)** فقد استحوذ المدّ بالياء على أكثر من نصف الفواصل المدِّيَّة في القرآن، والجدول الآتي يوضِّح ذلك:

م	الفواصل المدِّيَّة	العدد	النِّسبة المئويَّة
١	الفواصل الّتي بها مدٌّ بالياء	٢٧٠٠	% ٥٢,٥
٢	الفواصل الّتي بها مدٌّ بالواو	٢٠٠٤	% ٣٩
٣	الفواصل الّتي بها مدٌّ بالألف	٤٣٩	% ٨,٥
٤	**الإجمالي**	٥١٤٣	%١٠٠

إنَّ شيوع المدّ في فواصل القرآن، وبخاصَّة المدّ بالياء، هو ما يجعلنا نميل إلى كون فواصل القرآن إنّما سلكت المسلك ذاته الذّي سلكته فاتحة الكتاب في نسجها لفواصلها، ويؤكِّد في الوقت ذاته وحدة النّصِّ القرآنيّ، وتماسك بِنيته.

***

المحور الرَّابع
حرف الرَّويّ

إن جاز لنا أن نطلق على الحرف الأخير في الآية لفظ **(الرَّويّ)** ففي الفاتحة سبعة أحرف رَوِيّ، وهي على التّوالي: **(م، ن، م، ن، ن، م، ن)**، ويلاحظ ما يأتي:

أولًا: الاقتصار على حرفَي **(ن، م)** في ختام فواصل الفاتحة.

ثانيًا: غلبة رويّ **(ن)** على روي **(م)**؛ فقد ختمت **(٤)** آيات بحرف النُون: **(العالمين، الدِّين، نستعين، الضَّالِّين)**، وختمت **(٣)** آيات بحرف الميم: **(الرَّحيم، الرَّحيم، المستقيم)**.

لقد انسحب النِّظام الّذي أرسته سورة الفاتحة فيما يتعلّق بحرف **(الرَّويّ)** على سائر فواصل القرآن، وفيما يلي بيان ذلك:

أ. جاء أكثر من نصف فواصل القرآن الكريم على رَويّ **(ن)**، فقد خُتمت **(٣١٨٢)** فاصلة بحرف النُون(١)، فهو حرفٌ "**يمثِّل أكثر من نصف القرآن**"(٢).

ب. جاء حرف **(م)** في المرتبة الثّانية مباشرة بعد حرف **(ن)** في نسبة ختام الفواصل، فقد خُتمت **(٧٧٥)** فاصلة بحرف الميم(٣).

---

(١) كنت قد أحصيت تلك الفواصل بنفسي، ثمّ بعد أن فرغت من العدِّ والإحصاء المُضني تبيّن لي أنّ هناك من سبقني إلى ذلك؛ فاعتمدت على السّابق **(الفواصل القرآنيّة: دراسة بلاغيّة: ص/٧٩)**، وعدد الفواصل الّتي خُتمت بحرف **(ن)** وفقًا لعدِّي وإحصائي **(٣١٣٢)** فاصلة، وفي كلا الإحصاءين لا تتغيّر نتيجة تصدُّر حرف **(النُون)**

(٢) الفواصل القرآنيّة: دراسة بلاغيّة: ص/٨١.

(٣) اعتمدت في هذا الرّقم على كتاب: **(الفواصل القرآنيّة: دراسة بلاغيّة: ص/٧٩)**، وعدد الفواصل الّتي خُتمت بحرف **(م)** وفقًا لعدِّي وإحصائي **(٧٧٢)** فاصلة، وفي كلا الإحصاءين لا تتغيّر نتيجة وقوع حرف **(الميم)** في المرتبة الثّانية بعد حرف **(النُون)** مباشرة.

ج. معظم السُّور الّتي اجتمع في فواصلها حرفا **(ن، م)** كانت الغلبة فيها لحرف **(ن)** على غرار ما وقع في سورة الفاتحة، وفيما يأتي أمثلة تؤكِّد ذلك:

م	السُّورة	فواصل حرف (ن)	فواصل حرف (م)
١	**البقرة**	١٩٣	٥٤
٢	**آل عمران**	١٢٠	٣٠
٣	**المائدة**	٨٠	٢٤
٤	**الأنعام**	١٤٤	١٣
٥	**الأعراف**	١٩٣	١٠
٦	**الأنفال**	٣٩	١٩
٧	**التّوبة**	٨٦	٣٧
٨	**يونُس**	٩٨	١٩
٩	**هود**	٥٦	٥
١٠	**يوسُف**	٩٣	١٥

إنّ شيوع حرفَي **(ن، م)** في فواصل القرآن وإن كان يُحدِث نغمًا؛ لِما في هذين الحرفَين من غُنّةٍ تَظهر أقوى ظهور عند الوقف عليهما في رؤوس الآيات؛ ذلك أنّ "**أكثر الحروف العربيّة إظهارًا للغُنّة والتّرنُّم حرفا النُّون والميم؛ ولذا نجدهما أكثر الحروف استعمالًا في فواصل القرآن**"(١)، أقول: إنّ هذا الشُّيوع مرتبط بنظام الفاتحة أشدّ ارتباطٍ؛ فقيامها عليهما وحدهما هيّأ لغلبتهما على سائر الحروف، وتفضيلها لحرف النُّون كتب له الصّدارة والتّقدُّم. والله أعلم.

(١) الفواصل القرآنيّة: دراسة بلاغيّة: ص/٧٨.

د. قامت الآية الأولى في سورة الفاتحة على رويِّ (م): (الـرَّحيم)، وأكثر حرف وقع رَويًّا للآية الأولى في سائر السُّوَر هو حرف (م) كذلك، وفيما يأتي جدولٌ يُظهر ذلك:

م	الحرف	عدد السُّوَر الّتي وقع فيها رويًّا في الآية الأولى
١	م	٢٧
٢	ن	٢٠
٣	ر	١٩
٤	ت	١٠
٥	ا	٧
٦	د	٥
٧	ق	٤
٨	ب	٣
٩	ل	٣
١٠	ج	٢
١١	ح	٢
١٢	س	٢
١٣	ص	٢
١٤	ف	٢
١٥	ش	١
١٦	ع	١
١٧	ك	١

م	الحرف	عدد السُّوَر الّتي وقع فيها رويًّا في الآية الأولى
١٨	ه	١
١٩	و	١
٢٠	**الإجمالي**	**١١٣ + الفاتحة = ١١٤ سورة**

ه. قامت الآية الأخيرة في سورة الفاتحة على رويِّ (ن): (الضَّـالِّين)، وأكثر حرف وقع رَويًّا للآية الأخيرة في سائر السُّوَر هو حرف (ن) كـذلك، وفيما يأتي جدولٌ يُبيّن ذلك:

م	الحرف	عدد السُّوَر الّتي وقع فيها رويًّا في الآية الأولى
١	ن	٤١
٢	م	٢٢
٣	ر	١٣
٤	ب	٧
٥	د	٧
٦	ا	٦
٧	ت	٥
٨	ه	٣
٩	ث	١
١٠	ز	١
١١	س	١
١٢	ط	١

م	الحرف	عدد السُّوَر الّتي وقع فيها رويًّا في الآية الأولى
١٣	ظ	١
١٤	ف	١
١٥	ل	١
١٦	و	١
١٧	ي	١
١٨	**الإجمالي**	**١١٣ + الفاتحة = ١١٤ سورة**

و. خُتمت غالبية السُّوَر المبدوءة برويّ (م) برويِّ (ن)، على شاكلة سورة الفاتحة؛ فقد خُتمت (١٧) سورة بروي (ن) من أصل (٢٧) سورة بُدئت برويّ (م).

* * *

المحور الخامس

فاصلة الختام (الجمع)

خُتمت سورة الفاتحة بفاصلة دالَّةٍ على معنى الجمع **(الضَّالِّين)**، وقد كان لهذه الفاصلة أثرٌ بالغ في الفواصل الختاميَّة في سائر سور القرآن الكريم، كما كان للفاصلة الأولى **(الرَّحيم)** أثرٌ كبيرٌ على الفواصل الافتتاحيَّة لسُوَر القرآن؛ فقد خُتمت **(٤٥)** سورة بفاصلة جمعيَّة(١).

والمقصود بكون الفاصلة جَمعيَّة أن تحمل إشارة إلى الجمع، مثل: **يؤمنون (يوسُف)، محسنون (النّحل)، تُرجَعون (القَصص)، العالمين (الزُّمَر)، الأمور (الشُّورى)، أمثالكم (مُحمَّد)، واعبدوا (النّجم)، ظاهرين (الصَّفّ)، تعلمون (المنافقون)، حسابهم (الغاشية)، النّاس (النّاس).**

---

(١) هذه السُّوَر هي: ١. البقرة **(الكافرين)**، ٢. آل عمران **(تُفلحون)**، ٣. الأعراف **(يسجدون)**، ٤. يونُس **(الحاكمين)**، ٥. هود **(تعملون)**، ٦. يوسُف **(يؤمنون)**، ٧. إبراهيم **(الألباب)**، ٨. النّحل **(محسنون)**، ٩. الأنبياء **(تصفون)**، ١٠. المؤمنون **(الرَّاحمين)**، ١١. الشُّعراء **(ينقلبون)**، ١٢، النّمل **(تعملون)**، ١٣. القَصص **(تُرجَعون)**، ١٤. العنكبوت **(المحسنين)**، ١٥. الرُّوم **(يوقنون)**، ١٦. السَّجدة **(منتظرون)**، ١٧. يس **(تُرجَعون)**، ١٨. الصَّافّات **(العالَمين)**، ١٩. الزُّمَر **(العالَمين)**، ٢٠. غافر **(الكافرون)**، ٢١. الشُّورى **(الأمور)**، ٢٢. الزُّخرُف **(يعلمون)**، ٢٣. الدُّخَان **(مرتقبون)**، ٢٤. الأحقاف **(الفاسقون)**، ٢٥. مُحمَّد **(أمثالكم)**، ٢٦. الحُجُرات **(تعملون)**، ٢٧. الذّاريات **(يوعدون)**، ٢٨. الطُّور **(النُّجوم)**، ٢٩. النّجم **(واعبدوا)**، ٣٠. المجادلة **(المفلحون)**، ٣١. الممتحنة **(القبور)**، ٣٢. الصَّفّ **(ظاهرين)**، ٣٣. الجُمُعة **(الرَّازقين)**، ٣٤. المنافقون **(تعلمون)**، ٣٥. التّحريم **(القانتين)**، ٣٦. القلم **(للعالَمين)**، ٣٧. المعارج **(يوعدون)**، ٣٨. القيامة **(الموتى)**، ٣٩. المرسَلات **(يؤمنون)**، ٤٠. عبس **(الفَجَرَة)**، ٤١. التّكوير **(العالَمين)**، ٤٢. المطفِّفين **(يفعلون)**، ٤٣. الغاشية **(حسابهم)**، ٤٤. التّين **(الحاكمين)**، ٤٥. النّاس **(النّاس)**

ولعلّ ظاهرة ختام السُّوَر بالجمع تُلمح إلى كون الخطاب في القرآن الكريم خطابًا جَمْعيًّا، يأمر الجميع، وينهاهم، يرغِّبهم، ويرهِّبهم، بدأ ذلك مع فاتحة الكتاب؛ إذ نحى الخطاب فيها منحًى جَمعيًّا؛ فمنزِّل القرآن **(ربّ العالَمين)**، وفريق من المنزّل عليهم يعبدون ويستعينون ويرجون الهداية **(نعبد، نستعين، اهدنا، الّذين، عليهم)**، وفريق آخر اجتمع على الضّلال فاستحقّ الغضب **(المغضوب عليهم، الضّالّين)**، واستمرّ خيط الجمع ساريا في أوصال القرآن حتّى وصل آخره في سورة **(النّاس)**؛ فإذا بالمنزّل **(ربّ النّاس، ملك النّاس، إله النّاس)**، وإذا بالعاصي الأوّل **(إبليس)** يقوم هو وأتباعه من **(الجنّة، النّاس)**، بوسوسة جمعيّة في **(صدور النّاس)**.

بقيت الإشارة إلى أنّ فاصلة الختام الأولى **(الضّالّين)** جاءت جمعَ مذكّرٍ سالمًا، معرّفةً بالألف واللّام، مجرورةً، وقد خُتمت (١٤) سورةً بجمعِ مذكّرٍ سالمٍ، معرّفٍ بالألف واللّام، لكنّ اللّافت للانتباه أنّ (١١) سورةً منها آثرت **(الجرّ)** على غرار الفاتحة؛ ليمتدّ أثر فاصلة ختام الفاتحة إلى فواصل الختام المماثلة، وهذا غاية التّماسك، ومبلغ التّآزر، والجدول الآتي يُفصح عن ذلك:

م	السُّورة	الفاصلة الختاميّة
١	البقرة	{أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين}. [البقرة:٢٨٦].
٢	يونُس	{وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين}. [يونس:١٠٩].
٣	المؤمنون	{وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين}. [المؤمنون:١١٨].
٤	العنكبوت	{وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين}. [العنكبوت:٦٩].
٥	الصّافّات	{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}. [الصافات:١٨١].
٦	الزُّمَر	{وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}. [الزمر:٧٥].

م	السُّورة	الفاصلة الختاميّة
٧	غافر	{وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُون}. [غافر:٨٥].
٨	الأحقاف	{فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُون}. [الأحقاف:٣٥].
٩	المجادلة	{أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُون}. [المجادلة:٢٢].
١٠	الجُمُعة	{وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِين}. [الجمعة:١١].
١١	التّحريم	{وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين}. [التحريم:١٢].
١٢	القلم	{وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِين}. [القلم:٥٢].
١٣	التّكوير	{وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِين}. [التكوير:٢٩].
١٤	التّين	{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِين}. [التين:٨].

***

المبحث الرَّابع
شيوع الألوان البلاغيَّة

يعالج هذا المبحث اللّمسات البلاغيّة الّتي غَطّتْ سورة الفاتحة، ومعلومٌ أنّ لكلِّ جزئيّة مهما دَقّت في القرآن بلاغاتها ودلالاتها المتنامية بمعاودة التّدبُّر، بيد أنّ القصد هنا إلى الألوان الّتي تنتمي إلى علوم البلاغة المعهودة **(المعاني، البيان، البديع)**، فقد حظي كلُّ عِلم من هذه العلوم بنصيب في سورة الفاتحة، مع صِغر حجمها، وغنيٌّ عن القول أنّ أسماء هذه العلوم لم تكن موجودة هكذا وقت نزول القرآن، ولكنّ مسمّياتها كانت موجودة شائعة في كلام العرب قبل نزول القرآن.

لقد اشتملت سورة الفاتحة على عدّة ظواهر بلاغيَّة، منها:

١. **التّقديم والتّأخير:** {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين}.
٢. **الاستعارة:** {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم}.
٣. **الطِّباق:** {الرَّحْمنِ الرَّحِيم/ المَغضُوبِ}، {اهدِنَا/ الضَّالِّين}.
٤. **التّكرار:** {اللَّه، الرَّحْمنِ الرَّحِيم، إِيَّاكَ، الصِّرَاطَ، عَلَيهِمْ}
٥. **الالتفات:** بين الألفاظ **(الله/رب)**، وبين الصّيغ **(الرّحمن/ الرّحيم)**، و**(المغضوب/ الضّالين)**، وبين الضّمائر {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ*إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين}.

ونحسب أنّ لتركيز سورة الفاتحة على هذه الألوان أثرًا على سائر سُوَر القرآن، ونحاول عبر خمسة مَحاور تتبُّع هذا الأثر، وهذه المَحاور هي:

الأول: التّقديم والتّأخير.
الثّاني: الاستعارة.
الثّالث: الطِّباق.
الرّابع: التّكرار.
الخامس: الالتفات.

***

المحور الأول
التَّقديم والتَّأخير

يمثِّل التّقديم والتّأخير عدولًا عن النّمط الأصلي للجملة، يستدعي معنًى إضافيًّا لا يمكن تحقُّقه حال الاكتفاء بالنّمط الحيادي المباشر للكلام، هذا ما أقرّه البلاغيُّون تنظيرًا وتطبيقًا؛ فقد أوْلاه الإمام عبد القاهر الجرجاني **(ت/٤٧١ه)** عنايةً فائقةً؛ لأهمِيّته في إضفاء دلالات على الكلام لم تكن لولاه(١)، والزّمخشريُّ **(ت/٥٣٨ه)** يقول في التّقديم الواقع في قوله تعالى في سورة الفاتحة **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين}**: "**وتقديم المفعول؛ لقصد الاختصاص... والمعنى: نخصُّك بالعبادة، ونخصُّك بطلب المعونة**"(٢).

والمتتبِّع لخيط التّقديم والتّأخير في سور القرآن يجده متّصلًا ممدودًا من مطلعه إلى ختامه، فقد أظهر الإحصاء وقوع ظاهرة التّقديم والتّأخير في **(١٠٣)**(٣) من سور القرآن الكريم، إضافة إلى سورة الفاتحة، ومعنى هذا أنّها ظاهرة تغطِّي جُلّ القرآن الكريم، ولعلّ هذا أثرٌ بلاغيٌّ من آثار الفاتحة، إذ كأنه لمّا وقع فيها ــ وهي أمُّ الكتاب الّتي عنها يتفرّع ــ انسحب على نسيج القرآن كلِّه. والله أعلم.

---

(١) انظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجُرجاني، تحقيق/ محمود مُحمّد شاكر، دار المدني، جدّة، ط/٣، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م: ص/١٠٦.

(٢) الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: ١/١١٧، ١١٨ بتصرُّف.

(٣) السُّور الّتي لم ترد فيها ظاهرة التّقديم والتّأخير هي: (الأعلى، الضُّحى، القدْر، الزّلزلة، القارعة، العصر، قُريش، الكوثر، الفلق، النّاس)، ولعلّها في حاجة إلى بحث ينقِّب عن سرِّ خلوِّها من هذه الظّاهرة.

ومعلومٌ أنّ اللّفظ المقدّم يحوز الاهتمام والانتباه كما أشار إلى ذلك عبد القاهر الجُرجاني: "**واعلم أنّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئًا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام**"(١)، ويُفهَم من هذا ضمنًا أنّ لكلّ سورةٍ محورًا مهمًّا ــ على الأقل ــ يحتاج إلى مزيد عناية واهتمام؛ إذ التّقديم والتّأخير لا يكاد يترك سورة من سور القرآن إلّا ويضرب فيها بسهم.

ولعلّ البحث عن مواطن التّقديم والتّأخير في السُّور يُوقِفنا على النُّقطة المركزيّة الّتي تُشَدُّ إليها خيوط كلّ سورة؛ فموطن التّقديم والتّأخير في سورة الفاتحة: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين}** يمثّل نقطة الارتكاز الّتي ترتدُّ إليها محاور السُّورة كلّها؛ فربَ العالمين، المتفرّد بالملك يوم القيامة، والمختصّ وحده بالهداية إلى الصِّراط المستقيم هو المستحق الأوحد للعبادة والاستعانة، والّذين أنعم الله عليهم سبب الإنعام عليهم إفرادهم الله بالعبادة وإخلاصهم الاستعانة له وحده، والّذين حقّ عليهم الغضب، والّذين سلكوا سبيل الضّلال ــ لم يستحقُّوا الغضب، ولم يوصموا بالضّلال إلّا لأنّهم جعلوا لله أندادًا، أو اتّخذوا من دونه إلهًا، وهكذا عمل التّقديم والتّأخير على لفت الانتباه إلى القضيّة الرّئيسة في سورة الفاتحة، وهي قضية قصر العبادة والاستعانة على الله ــ سبحانه. والله أعلم.

إنّ هذه النّظرة إن صحّت واطّردت في سور القرآن تكون سورة الفاتحة قد منحتنا مضامين القرآن، وتراكيبه، وليس هذا فحسب، بل ومنحتنا طريقة تدبُّر القرآن المُثلى، وهي الالتفات إلى موطن اهتمام كل سورة والبحث عنه انطلاقًا من مواضع التّقديم والتّأخير، تلك الّتي تنبض بالعناية والاهتمام.

***

(١) دلائل الإعجاز: ص/١٠٧.

المحور الثَّاني

الاستعارة

للاستعارة حضور بارز في مدوَّنة الإبداع الأدبي والنّقد الأدبي قديمًا وحديثًا، عرفها الجاهليون وضمَّنوها أشعارهم، والتفت إليها النُّقّاد؛ فأفسحوا لها مجالًا واسعًا في كتاباتهم، واستمرّ سريانها في الإبداع والنّقد إلى يومنا هذا.

ولم يكن القرآن الكريم ــ وهو النّازل بلسان عربيٍّ مبين ــ ليُغفِل تلك الأداة المهمَّة في تصوير المعنى، وتأكيده؛ فعمد إلى الاستعارة، ونشرها في أرجائه، محقّقا بها أعلى درجات البلاغة.

وليس أدلُّ على احتفاء القرآن بالاستعارة من ركونه إليها في مستهلِّه، وذلك قول الله ــ تعالى ــ في سورة الفاتحة: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم}، مشبِّهًا "**الدِّين الحقّ بالصِّراط المستقيم**"(١)، ومعلوم أنَّ جعل الشيء في موقع الصَّدارة دليل أهمِّية واهتمام.

ومن نقطة البداية (**الفاتحة**) انبعثت الاستعارة إلى شتّى أركان القرآن الكريم؛ ذلك أنّ النّظرة العَجْلى تُظهر مجيء الاستعارة في (٧٨) سورة من سُوَر القرآن، إضافة إلى سورة الفاتحة، وغير بعيدٍ أن يكون سريانها امتدادًا لِما وقع في فاتحة القرآن، ولعلّ ممّا يؤكِّد ذلك تكرار هذه الاستعارة بعينها (**الصراط المستقيم**) في (٣٢) موضعًا في القرآن الكريم.

***

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدِّين الدَّرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط/٧، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م: ٣٣/١.

المحور الثَّالث

الطِّباق

جمعت الفاتحة بين المتضادات؛ ففيها الرحمة **(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** والغضب **(المَغضُوبِ)**، وفيها الهدى **(اهدِنَا)** والضّلال **(الضَّالِّين)**، وفي استخدام الطِّباق حشد وتكثيف للمعاني في الرُّقعة النّصِّيّة، في إيجاز وتقريب، فبضدها تتميّز الأشياء؛ فعلى الرّغم من شمول الرّحمة الإلهيّة لكل شيء، إلا أنّ فريقًا من النّاس أخرج نفسه من عباءة الرّحمة؛ فجلب لنفسه الغضب، والهُدى الّذي هو الغاية العظمى الّتي ترنو إليها النُّفوس، ثَمّ من ينأى عن طريقها ويسلك طريق الغواية والضّلال، وهكذا تتضافر الكلمات المتضادة؛ لترسم صورة ملؤها المفارقة بين شيئين؛ فيصل المعنى للمتلقي من أخصر طريق.

وقد تتّسع بؤرة الطِّباق لتشكل المقابلة، كالمقابلة الماثلة في آخر سورة **(الفاتحة)** بين حال الَّذين أنعم الله عليهم، وحال الّذين غضب الله عليهم.

والطِّباق والمقابلة من أكثر الأساليب شيوعًا في القرآن الكريم؛ فقد وردا في (١٠٢) من سور القرآن، إضافة إلى سورة الفاتحة، وما هذا الشُّيوع ــ فيما نحسب ــ سوى انعكاس مُعجِز لِما تردّد في جنبات سورة الفاتحة.

ولن نجانب الصّواب إذا قلنا: إنّ القرآن في مجمله قائم على ثنائيات متقابلة: الربّ/ العبد، الجنة/ النّار، الدُّنيا/ الآخرة، الحقّ/ الباطل، الخير/ الشَّر، الهدى/ الضّلال، الرّحمة/ الغضب، الحلال/ الحرام، الإنس/ الجن، السماء/ الأرض، الإسلام/ الكفر، الحياة/ الموت، النعمة/ المصيبة، الليل/ النّهار، وغير ذلك الكثير ممّا يُعَدُّ من المحاور الرئيسة الّتي عالجها القرآن، ولعلّ الفاتحة تكون قد أومأت ــ بما حوته من متضادات ــ إلى مسلك من المسالك الّتي سينتهجها القرآن في التّناول والعرض، وإلى أنّ ثَمَّ اتجاهين متقابلين في شتّى مضامين القرآن. والله أعلم.

المحور الرَّابع
التَّكرار

أشار غير واحد من المفسرين إلى أنّ المقصود بالسَّبع المثاني في قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنْ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} سورة الفاتحة، يقول الطّاهر بن عاشور: "**والأصحُّ أنّ السَّبع المثاني هي سورة فاتحة الكتاب**"(١).

والأصل الّذي يدور عليه الجذر **(ث.ن.ي)** هو التّكرير، يقول ابن فارس (ت/٣٩٥ه): "**الثاء والنُّون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشّيء مرّتين**"(٢)، وقال الرّاغب الأصفهاني (ت/٥٠٣ه): "**الثِّنَى: ما يُعاد مرّتين**"(٣)، فالمثاني: الّذي يكرِّر مرّتين، وإذا سحبنا هذا المعنى المحوري للجذر **(ث.ن.ي)** على

---

(١) التّحرير والتّنوير: ٨٠/١٤، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط/١، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م: ١٢١/١٤، والكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: ٤١٦/٣، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م: ٣٧٣/٣، والتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، لبنان، ط/١، ١٤٠١ه، ١٩٨١م: ٢١١/١٩، البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسيّ، ت/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م: ٤٥٢/٥، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسُّوَر، برهان الدّين البقاعيّ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د/ن: ٨٥/١١، وإرشاد العقل السّليم إلى مزايا القرآن الكريم: ٨٨/٥، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني: ٧٨/١٤، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمّد الأمين الشِّنقيطيّ، دار عالم الفوائد، جدة، ط/٢، ١٤٠٠ه، ١٩٨٠م: ٢٣٥/٣.

(٢) مقاييس اللُّغة، ابن فارس، ت/ عبد السلام محمّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م: مادّة (ث.ن.ي)

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ، ت/ إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/٣، ٢٠٠٨م: مادّة (ث.ن.ي)

سورة الفاتحة وجدناها كرَّرت عدّة كلمات مرّتين، وهذه الكلمات هي: **{اللّـــه، الرَّحْمـــنِ، الرَّحِيم، إِيَّاكَ، الصِّرَاطَ، عَلَيهِمْ}**، وليس في الفاتحة شيءٌ كُرِّر أكثر من مرّتين.

إنّ إطلاق تسمية **(السبع المثاني)** على الفاتحة فيه اهتمام كبيـــر بـــأمر التّكرار؛ إذ هو مِفتاح تثبيتِ الأمر وتوكيدِه، واللّفتِ إلى النّهي وتأكيده، وبـــه تقام الحُجّة وتَقْوَى، ولعِظم أمر التّكرار وجسامة شأنه تجده قد سرى في سُوَر القرآن كلِّها بلا استثناء، وليس هذا غريبًا أو عجيبًا؛ فقد أرست دعائمـــه أول سورة في المصحف **(الفاتحة)**، وكرِّرت ــ على صِغرها ــ ســـتّ كلمـــاتٍ، ولكنّ الّذي يُثير العجب أن تكون الكلمات المكوِّنة لسورة الفاتحة مـــن أبـــرز الكلمات الّتي كُرِّرت عبر سُوَرِ القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك(١):

السُّورة	كلمات الفاتحة المكرَّرة فيها
البقرة	(الله، الرَّحيم، ربّ، العالمين، اليوم، الدِّين، صـــراط، مســـتقيم، أنعمت، غير، الّذين، عليهم، ولا)
آل عمران	(الله، الرَّحيم، ربّ، العالمين، اليوم، الدِّين، صـــراط، مســـتقيم، غير، الّذين، عليهم، ولا)
النِّساء	(الله، الرَّحيم، ربّ، اليوم، صراط، مستقيم، أنعم، غير، الّـــذين، عليهم، ولا)
المائدة	(الله، الرَّحيم، ربّ، العالمين، اليوم، غير، الّذين، عليهم، ولا)
الأنعام	(الله، الرَّحيم، ربّ، العالمين، الحمد، اليوم، صراط، مســـتقيم،

(١) قمتُ بتتبع سُوَر القرآن الكريم سورةً سورةً؛ فلم أجد سورة خلت من التّكرار، وقد اقتصرت على هذه الأمثلة؛ لضيق المقام، وإضافة إلى كلمات الفاتحة المكررة في هذه السُّـــوَر هنـــاك كلمات أخريات كُرِّرت معها.

السُّورة	كلمات الفاتحة المكرَّرة فيها
	غير، الّذين، عليهم، ولا)
الأعراف	(الله، الرَّحيم، ربّ، العالمين، اليوم، صراط، غير، الّذين، عليهم، ولا)
الأنفال	(الله، الرَّحيم، ربّ، اليوم، الدِّين، الّذين، عليهم، ولا)

* * *

المحور الخامس

الالتفات

من أبرز الظّواهر البلاغيّة في سورة الفاتحة الالتفات، والالتفات لا يقتصر على "**التحول من ضميرٍ إلى ضميرٍ، بل إنّ مفهومه ليتّسع ليشمل كلَّ تحوُّل أو انكسار في نسق التّعبير لا يتغيّر به جوهر المعنى**"(١)، ومعنى هذا أنّ التّنويع في الصِّيغ، والمعجم، والأدوات، والضّمائر، والتّراكيب، كلّ هذا يدخل ضمن مجالات الالتفات الأصيلة المعتَبَرة.

والالتفات بهذا المفهوم الواسع هو لبُّ بلاغة القرآن الكريم، وجوهر إعجازه، فما من سورةٍ، بل آية، إلّا فيها تحوُّل في النّسق التّعبيري ليواكب السِّياق، وقد أفصح القرآن عن انتهاجه هذا العدول أو الانزياح في أُولى لبناته: سورة الفاتحة؛ حيث ضمّنها ألوانًا من الالتفات في عدّة مجالات:

في المعجم، بين كلمتي **(الله، رب)** وكلتاهما يعبر عن الخالق ــ سبحانه، لكن الآيات نوّعت في استعمالهما.

وفي الصِّيغ، بين كلمتي **(الرَّحمن، الرَّحيم)**، فاللّفظان من جذر واحد **(ر.ح.م)**، وأصل المعنى فيهما واحد **(الرَّحمة)**، لكنّ الأولى منهما على وزن **(فعلان)**، والثّانية على وزن **(فعيل)**، ولكلِّ صيغة ــ بلا شكٍّ ــ دلالةٌ تخصها وتفرقها عن غيرها، ومع هذا جمعت السُّورة بينهما، وكل منهما يؤدّي دوره المنوط به، والّذي لا يقوم به سواه في هذا الموضع، وكذلك من الالتفات بين الصِّيغ الالتفات بين كلمتي **(المغضوب، الضّالّين)**؛ فالأولى **(اسم مفعول)**،

(١) أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، أ. د/ حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط/١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م: ص/٦٥.

والثّانية **(اسم فاعل)**، والدِّلالة فيهما ليست واحدة، وقد عدلت السُّورة عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل؛ لدلالة يقتضيها السِّياق في كلٍّ.

وفي الضَّمائر، فقد بدأت السُّورة متحدِّثة عن الله والثّناء عليه متّكئة على ضمائر الغيبة، وذلك قوله تعالى: {بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم* الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين* الرَّحْمنِ الرَّحِيم* مَالِكِ يَوْمِ الدِّين}. [الفاتحة:١ : ٤]، ثمّ عدلت إلى ضمائر المخاطب، وذلك قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين* اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّين}. [الفاتحة: ٥،٦،٧].

أضف إلى ذلك اختيار التعبير بالحمد دون **(الشُّكر)**، والتّعبير عن المخلوقين بكلمة **(العالَمين)** دون **(البشر، الخلق، النّاس، الأناسي، الإنس والجن...)**، والتّعبير عن يوم القيامة بقوله: **(يوم الدِّين)** دون غيره من الأسماء الأخرى **(يوم الآزفة، يوم التّناد، الواقعة، الحاقّة، الطّامّة، الصّاخّة، القيامة، الآخرة، القارعة...)**، والتّعبير عن الدِّين الحق بلفظ **(الصِّراط)** دون **(السَّبيل، أو الطّريق)**، ووصف الصِّراط بكلمة **(المستقيم)** دون **(السَّوي)**.

إنّ شيوع صور الالتفات في سورة الفاتحة ــ على قلّة عدد آياتها ــ ليمثِّل الدّعامة الأساسيَّة للطّريقة الّتي سينتهجها النظم القرآنيّ في الانتقال من معنًى إلى معنًى، ومن أسلوبٍ إلى أسلوبٍ، والمتتبِّع لسُوَر القرآن يلحظ بوضوح ما تتزيَّن به من التّفنُّن في الاختيار، والبراعة في العدول عن لفظة إلى أختها سواء في السِّياق الخاصّ **(الآية/ الآيات)**، أو في السياق العامّ **(السُّورة/ السُّور المتجاورة/ القرآن كله)** لخصوصيَّة في كلِّ سياق.

***

خاتمة

لقد حوت سورة الفاتحة مجموعة مضامين، أجمع العلماء والمفسِّرون على كونها تمثِّل المضامين الكبرى الّتي انبثقت عنها سائر مضامين القرآن الكريم، وقد أُدِّيت هذه المضامين بإطار لُغويٍّ وظّف كافّة طاقات اللُّغة: صوتيًّا، ومعجميًّا، وصرفيًّا، ونَحْويًّا، ودِلاليًّا، مُحدِثًا تركيبةً بنائيّةً انسحبت آثارها على بقيّة سُوَر القرآن، وقد حاول هذا البحث تتبُّع هذه الآثار، وسعى نحو توجيهها بلاغيًّا، ولعلّ من أهمِّ النّتائج الّتي توصّل إليها ما يأتي:

١. في اختيار الفاتحة لتحتلّ موقع الصّدارة إعجاز بالغ؛ إذ هي ــ على وجازتها ــ تضمّنت أنماطًا كثيرة من الأساليب، والاختيارات، والصُّور البلاغيّة، الّتي كانت بمثابة الخيط السّاري في نسيج القرآن.

٢. تُمثِّل اللّبِنات الصُّغرى لسورة الفاتحة **(الجذور المعجميّة)** مَحاور ارتكاز النّصِّ القرآنيِّ؛ فقد انتشرت فيه انتشارًا ملحوظًا.

٣. ثمّة لَبِنات كبرى **(المسكوكات)** وردت في الفاتحة، ولأهمِّيّتها تراها تردّدت في جنبات القرآن الكريم على النّحو الّذي ارتضته الفاتحة.

٤. أرست الفاتحة دعائم الجانب الصّوتي في القرآن، وحدّدت معالمه؛ فقد اختارت حرفي **(ن، م)** رويًّا لآياتها، وهما حرفا غُنّة موسيقيّة رائقة، وقد حذا القرآن حذوها في ذلك، وركّزت على الفاصلة المدِّيّة، وفي مدِّ الصّوت مزيد نغمٍ مُطربٍ للنُّفوس والآذان، وعلى خُطاها سارت قافلة السُّوَر.

٥. صحيحٌ أنّ الألوان البلاغيّة كثيرة في القرآن، بيد أنّ الألوان الّتي آثرتها الفاتحة **(الالتفات، والتّكرار، والتّقديم والتّأخير، والاستعارة، والطِّباق)** تُعَدُّ من أكثر هذه الألوان شيوعًا في أوصال القرآن الكريم.

٦. أثّر البناء الهندسيّ للفاتحة في هيكل القرآن تأثيرًا كبيرًا؛ فالبداية الاسميَّة، والنِّهاية الاسميَّة، ونسبة الفعل المضارع إلى الفعلين **(الأمر، الماضي)**، والفاصلة الجَمعيَّة؛ كلٌّ هذا ممَّا اهتدت فيه سُوَر القرآن بهَدْي الفاتحة.

***

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدِّين السُّيوطيُّ، ت/ مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف والدَّعوة والإرشاد، المملكة العربيّة السُّعوديَّة، د/ط، د/ت.

٢. إرشاد العقل السَّليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السُّعود، دار إحياء التُّراث العربيّ، لُبنان، د/ط، د/ت.

٣. أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، أ. د/ حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط/١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمَّد الأمين الشِّنقيطيّ، دار عالم الفوائد، جدة، ط/٢، ١٤٠٠ه، ١٩٨٠م.

٥. إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدِّين الدَّرويش، دار ابن كثير، دمشق، ط/٧، ١٤٢٠ه، ١٩٩٩م.

٦. البحر المحيط، أبو حيَّان الأندلسيّ، ت/ عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/١، ١٤١٣ه، ١٩٩٣م.

٧. البرهان في علوم القرآن، بدر الدِّين الزَّركشيّ، ت: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار التُّراث، القاهرة، د/ط، د/ت.

٨. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيديّ، مطبعة حكومة الكويت، د/ط، ١٤٨٥ه، ١٩٦٥م.

٩. التَّحرير والتَّنوير: الطَّاهر ابن عاشور، الدَّار التُّونُسيَّة للنَّشر، تونُس، ١٩٨٤م.

١٠. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، تحقيق: مصطفى السَّيِّد مُحمَّد، ومُحمَّد السَّيِّد رشاد، مُحمَّد فضل العجماويّ، وعليّ أحمد عبد الباقي، وحسن عبّاس، مؤسّسة قرطبة، الجيزة، ط/١، ١٤٢١ه، ٢٠٠٠م.

١١. التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، لبنان، ط/١، ١٤٠١ه، ١٩٨١م.

١٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط/١، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م.

١٣. الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لِما تضمّنه من السُّنّة وآي الفرقان: القرطبيّ، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التّركيّ، مؤسّسة الرِّسالة، لُبنان، ط/١، ١٤٢٧ه، ٢٠٠٦م.

١٤. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجُرجاني، تحقيق/ محمود مُحمَّد شاكر، دار المدني، جدّة، ط/٣، ١٤١٣ه، ١٩٩٢م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني: الآلوسيّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، لُبنان، د/ط، د/ت.

١٦. الفواصل القرآنيَّة: دراسة بلاغيَّة، د/ السَّيِّد خضر، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط/١، ١٤٢٠ه، ٢٠٠٠م.

١٧. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: الزّمخشريّ، تحقيق: الشّيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشّيخ عليّ مُحمَّد معوّض، مكتبة العبيكان، الرِّياض، ط/١، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م.

١٨. لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، القاهرة، ت/ عبد الله علي الكبير، ومحمَّد أحمد حسب الله، وهاشم محمَّد الشّاذلي، د/ن.

١٩. محاسن التّأويل: القاسميّ، عناية: مُحمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة، ط/١، ١٣٧٦ه، ١٩٥٧م.

٢٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلميـــة، بيـــروت، لبنـــان، ط/١، ١٤٢٢ه، ٢٠٠١م.

٢١. معاني الأبينة في العربيّة، د/ فاضل صالح السّامرّائيّ، دار عمّار، عمان، ط/٣، ١٤٣٣ه، ٢٠١٢م.

٢٢. معجم أفعال القرآن الكريم، أيمن الشّاذليّ، دار اللُّؤلـــؤة، مصـــر، ط/١، ٢٠٢١م.

٢٣. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: مُحمّد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٨ه، ٢٠٠٧م.

٢٤. مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهانيّ، ت/ إبـــراهيم شـــمس الدِّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/٣، ٢٠٠٨م.

٢٥. مقاييس اللُّغة، ابن فارس، ت/ عبد السلام محمّـــد هـــارون، دار الفكر، ١٣٩٩ه، ١٩٧٩م.

٢٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسُّوَر، برهان الدِّين البقـــاعيّ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د/ن.

***

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٧٢٧
٢-	Abstract	٢٧٢٩
٣-	مقدِّمة	٢٧٣١
٤-	المبحث الأوَّل: سريانُ الموادِّ المعجميَّة	٢٧٣٤
٥-	المحور الأوَّل: شيوع جذور الفاتحة في سائر سُوَر القرآن.	٢٧٣٦
٦-	المحور الثَّاني: نسبة تكرار جذور الفاتحة إلى مجمل كلمات القرآن.	٢٧٤٣
٧-	المبحث الثَّاني: اطِّراد البِناء التَّركيبيّ	٢٧٤٥
٨-	المحور الأوَّل: تعالق البِنى الرئيسة.	٢٧٤٦
٩-	المحور الثَّاني: الأفعال.	٢٧٥٩
١٠-	المحور الثَّالث: التراكيب الثَّابتة (المسكوكات)	٢٧٦١
١١-	المحور الرَّابع: البداية والنِّهاية الاسميَّتان.	٢٧٦٣
١٢-	المبحث الثَّالث: انسجامُ الفواصل الموسيقيُّ	٢٧٦٤
١٣-	المحور الأوَّل: فاصلة البداية (صفات الله في الفواصل القرآنيَّة).	٢٧٦٦
١٤-	المحور الثَّاني: فاصلة صيغة فعيل.	٢٧٦٨
١٥-	المحور الثَّالث: الفواصل المَدِّيَّة.	٢٧٧٠
١٦-	المحور الرَّابع: حرف الرَّويّ.	٢٧٧٢
١٧-	المحور الخامس: فاصلة الختام (الجمع)	٢٧٧٧

م	الموضـوع	الصفحة
١٨-	المبحث الرَّابع: شيوع الألوان البلاغيَّة	٢٧٨٠
١٩-	المحور الأوَّل: التَّقديم والتَّأخير.	٢٧٨١
٢٠-	المحور الثَّاني: الاستعارة.	٢٧٨٣
٢١-	المحور الثَّالث: الطِّباق.	٢٧٨٤
٢٢-	المحور الرَّابع: التَّكرار.	٢٧٨٥
٢٣-	المحور الخامس: الالتفات.	٢٧٨٨
٢٤-	الخاتمة	٢٧٩٠
٢٥-	فهرس المصادر والمراجع	٢٧٩٢
٢٦-	فهرس الموضوعات	٢٧٩٥